لا يكون واجبا بذاته باطل حينئذ لانه اذا قدر ان الذات غير الوجود فلا بد في قوله
واجب بذاته من تحقق الوجوب والذات معا فلا يستقل احدهما على الاخر ولا يستغني
احدهما عن الاخر فصار معنى وجوب الوجود بالذات اذا قدر ان الذات غير الوجود
امرا استلزم الثلاثة الوجود الواجب والذات الموصوفة بذلك فلا يكون موجودا
بذاته الا كذلك وهذا كله يتقرر بثبوت شيئين ثم على هذا التقدير فيصح قولنا ان
يقال الوجود الملازم للماهية هو ايضا مختص بها كما ان الماهية مختصة به وهذا هو القول
الماثور عن ابي هاشم ونحوه وقد يقوله طائفة من اهل الاثبات كما يوجد في كلام ابي حامد
ولابن الاعرابي واما ان يقال الوجود مشترك في الخارج ولكل ماهية الحصة المختصة من الوجود
عن غيره وهذا هو الذي حكيه الرازي عن ابي هاشم وغيره وهو غلط عليهم كما غلط
على الاشعري وابي الحسين حيث حكى عنهم ان لفظ الوجود مقول بالاشتراك اللفظي
وهذا الغلط منه حيث ظن ان الكلي الذي هو مورد التقسيم يلزم ثبوته مشتركا
في الخارج وهذا اصل للمنطقيين غلطوا فيه ومن اعظم الكلام بحسب ما فهموا من كلام اهل
المنطق فغلطوا في المقصود وهذا قول ابي هاشم واما على قول من يقول ... واما اذا
كان الوجود هو الماهية ولا مشترك في الخارج كما هو قول الاشعري وعامة المثبتة
للصفات وهو الصواب فلا يحتاج الى هذا الجواب وليس المراد ان ماهيته وجود
مطلق مجرد كما يقوله ابن سينا ولا ان ثبوت وجودها الخصيصة ولكن المراد ان حقيقته المختصة
هي وجوده المختص به وليس ذلك وجودا مطلقا ولا مجردا وكذلك نقول ان كل موجود
او حقيقته المختصة به هي وجوده المختص به وقد ذكرنا هذا الجواب على تقدير مغايرة الوجود
للماهية لانه نافع في عامة ما يورده نفاة الصفات قال الامام احمد باب
بيان ما انكرت الجهمية من ان يكون الله كلم موسى فقلنا لم انكرتم ذلك قالوا ان الله لم
يتكلم ولا يتكلم انما كون شيئا فعبر عن الله وخلق صوتا فاسمع وزعموا ان الكلام لا يكون الا
من جوف وشفتين ولسان فقلنا هل يجوز لمكون او غير الله ان يقول يا موسى اني انا
ربك او يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فمن زعم ذلك زعم ان غير الله ادعى الربوبية

ولو كان كما زعم الجهمي ان الله كون شيئا كان يقول ذلك المكون يا موسى ان الله رب العالمين
الى ان قال فكيف يصفون وحديث الاعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منكم احد الا سيكلمه ربه الحديث واما قوله ان الكلام لا يكون الا من جوف وشفتين ولسان
اليس الله قد قال للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين اتراها قالت
بجوف وفم وشفتين ولسان وادوات وقال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن اتراها انها تسبحن
بجوف وفم وشفتين ولسان والجوارح اذا شهدت على الكافر فقالوا لم شهدتم علينا قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شيء اتراها انطقت بجوف وفم وشفتين ولكن الله انطقها كيف شاء الى ان قال
فلما خنقته الحجج قال ان الله كلم موسى الا ان كلامه غيره فقلنا وغيره مخلوق قالوا نعم فقلنا
هذا مثل قولكم الاول الا انكم تدفعون عن انفسكم الشنعة وحديث الزهري قال لما سمع
موسى كلام ربه قال يا رب هذا الذي سمعته هو كلامك قال نعم يا موسى هو كلامي وانما كلمتك
بقوة عشرة آلاف لسان ولي قوة الالسن كلها وانا اقوى من ذلك وانما كلمتك على قدر ما يطيق
بدنك ولو كلمتك باكثر من ذلك لمت قال فلما رجع موسى الى قومه قالوا له صف لنا كلام ربك
فقال سبحان الله وهل استطيع ان اصفه لكم قالوا فشبهه قال هل سمعتم اصوات الصواعق
التي تقبل في احلى حلاوة سمعتموها فكانه مثله وقلنا للجهمي من القائل للناس يوم القيامة يا عيسى
ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله اليس الله هو القائل قالوا يكون الله شيئا فيعبر عن الله
كما كون فعبر لموسى قلنا فمن القائل فلنسألن الذين ارسل اليهم الاية اليس الله هو الذي يسال قالوا
هذا كله انما يكون شيء فيعبر عن الله فقلنا قد اعظمتم على الله الفرية حين زعمتم انه لا يتكلم
فشبهتموه بالاصنام لان الاصنام لا تتكلم ولا تتحرك ولا تزول من مكان الى مكان فلما ظهرت عليه
الحجة قال ان الله قد يتكلم ولكن كلامه مخلوق قلنا وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق فقد شبهتم الله
بخلقه حين زعمتم ان كلامه مخلوق ففي مذهبكم ان الله قد كان في وقت من الاوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام
وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاما فقد جمعتم بين كفر وتشبيه فتعالى الله عن هذه الصفة
بل نقول ان الله لم يزل متكلما اذا شاء ولا نقول انه كان ولا يتكلم حتى خلق

والقول انه كان لا يعلم حتى خلق علما فعلم فالـ [illegible] فاسد ثم وهذا القول يقول به الكفار
التاسع قال الامام احمد قالت الجهمية اذ زعمتم ان الله ونوره والله وقدرته والله وعظمته
فقد قلتم بقول النصارى حين زعمتم ان الله لم يزل ونوره ولم يزل وقدرته فقلنا لا نقول ان الله
لم يزل وقدرته ولم يزل ونوره بل نقول لم يزل بقدرته ونوره لا متى قدر ولا كيف قدر فقالوا لا تكونوا
موحدين ابدا حتى تقولوا قد كان الله ولا شي ولكن اذا قلنا ان الله لم يزل بصفاته كلها اليس انما
نصف الها واحدا بجميع صفاته وضربنا لهم في ذلك مثلا فقلنا اخبرونا عن هذه النخلة
اليس لها جذوع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم شي واحد
وسميت نخلة بجميع صفاتها فكذلك الله وله المثل الاعلى بجميع صفاته اله واحد [illegible]
وقد سمى الله رجلا كافرا اسمه الوليد فقال ذرني ومن خلقت وحيدا وكان له عينان واذنان و
جوارح فسماه وحيدا بجميع صفاته وبسط الرحمه الكلام بما ينبغي الى ان قال ولا يوجد في
كلام الله ورسوله واللغة اسم الواحد لما لا صفة له فان ما لا صفة له لا وجود له في الوجود
فما دليله احد عن الجهمية انهم [illegible] كلام الله [illegible] بانه خلق من غير [illegible] جامع من ابناء
وهذا من [illegible] من يدعون [illegible] له ولو كان كما يقول [illegible] ان الملك يقول انا الله رب
العالمين كان في الصحيح ان الله [illegible] جبريل اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي
في السما ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما الحديث وقد مثلوا ذلك بان السلطان يامر مناديا
فيقول المنادي السلطان وهذا حجة عليهم فان المنادي يقول امر السلطان ان [illegible]
ونحو ذلك من الالفاظ التي [illegible] ولو قال المنادي [illegible] فانه يسلوا الا
عاقبتكم ونحو ذلك لم يكن مناديا عن السلطان ولو قال ذلك عاقبه السلطان فصل
احمد الله تعالى في [illegible] فاثبات [illegible] وهو [illegible] المعطلة الجهمية [illegible] احمد
[illegible] وقد [illegible] علمه وقدرته [illegible] ونحو ذلك [illegible]
[illegible] واستوى على العرش ونحو ذلك [illegible] صفاته [illegible] الصفات [illegible]
[illegible] السلف [illegible] صفاته [illegible] الجهم [illegible] والله انه كان من
صفات المخلوقات قال الامام احمد [illegible] الجهم [illegible]
اهل

اهل خراسان من اهل ترمذ وكان صاحب خصومات وكلام وكان اكثر كلامه في الله تعالى فلقي اناسا من المشركين
يقال لهم السمنية فعرفوا الجهم فقالوا له نكلمك فان ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا وان ظهرت
حجتك علينا دخلنا في دينك فكان مما كلموا به الجهم ان قالوا له الست تزعم ان لك الها قال الجهم نعم فقالوا
له هل رايت الهك قال لا قالوا فهل سمعت كلامه قال لا قالوا فشممت له رائحة قال لا قالوا
فوجدت له حسا قال لا قالوا فوجدت له مجسا قال لا قالوا فما يدريك انه اله فتحير الجهم فلم يدر من يعبد
اربعين يوما ثم انه استدرك حجة مثل حجة زنادقة النصارى وذلك ان زنادقة النصارى يزعمون
ان الروح الذي في عيسى هو روح الله من ذات الله فاذا اراد ان يحدث امرا دخل في بعض خلقه
فتكلم على لسان خلقه فيامر بما شاء وينهى عما شاء وهو روح غائب عن الابصار فاستدرك الجهم حجة
مثل هذه الحجة فقال للسمني الست تزعم ان فيك روحا قال نعم فقال هل رايت روحك قال لا
قال فسمعت كلامه قال لا قال فوجدت له حسا او مجسا قال لا قال فكذلك الله لا يرى
له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة وهو غائب عن الابصار ولا يكون في مكان
دون مكان ووجد ثلاث ايات في القران من المتشابه قوله تعالى ليس كمثله شي وهو الله في السموات
وفي الارض ولا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار فبنى كلامه على هؤلاء الايات وزعم ان من وصف الله بما
وصف به نفسه في كتابه او رسوله كان كافرا وكان من المشبهة فاضل بكلامه بشرا كثيرا واتبعه على قوله
رجال من اصحاب ابي حنيفة واصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ووضع دين الجهمية قال [illegible] رحمه
ما حكاه عن السمنية هم الذين يحكي اهل الكلام عنهم انهم ينكرون من العلم ما سوى الحسيات ولهذا
سالوا جهما هل عرفته بشي من الحواس الخمس قال لا قالوا فما يدريك انه اله فعلم انهم لا يعرفون الا المحسوس
وليس مرادهم ان الوطء لا يعلم الا ما احسه بل لا يثبتون الا ما هو محسوس للناس في الدنيا
وهؤلاء المعطلة الدهرية الطبائعية والفلاسفة اليونان ونحوهم الذين يكذبون بما سوى هذا
الوجود الذي يشاهده الناس ويحسونه وهو وجود الافلاك وما فيها وهؤلاء الذين ذكرهم ارسطو
واتباعه من اساطينهم حتى قال قائلهم ان هذا الشي المحسوس موجود لذاته واجب بنفسه لكن اذا
قيل لهم [illegible] واجب الوجود لم يجدوا هذا المحسوس واجبا وهذا هو القول الذي اظهره فرعون واليه
يعود عند التحقيق قول اهل الوحدة ثم ان جهما دعاهم [illegible] على الطبيعة

فعلمنا ان الشيء الذي لا كالاشيا قد عرف اهل العقل انه لا شيء فبعد ذلك تبين للناس
انهم لا ياتون بشيء ومن يسمع لا يثبتون شيئا ولكنهم يدفعون عن انفسهم الشنعة
واذا قيل لهم من تعبدون قالوا نعبد من يدبر امر هذا الخلق فقلنا هذا الذي يدبر
امر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة قالوا نعم فقلنا قد عرف المسلمون انكم لا تاتون بشيء
فقلنا لهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى قالوا لم يتكلم ولا يتكلم قال ابن تيمية ولما قالوا
هو شيء لا كالاشيا علم الائمة مقصودهم وان الموجودين لابد ان يتفقا في مسمى الوجود
والشيئين لابد ان يتفقا في مسمى الشيء فاذا لم يكن هناك قدر اتفقا فيه اصلا لزم ان لا يكونا
جميعا موجودين وهذا مما يعرف بالعقل ولهذا قال الامام احمد فقلنا ان الشيء الذي لا
كالاشيا قد عرف اهل العقل انه لا شيء ولهذا قال جهم ان الله لا يسمى شيئا لزعمه انه يسمى
لانه يقال على الخالق والمخلوق فالاسم الذي يسمى الشيء هذا الاسم يعمه وقوله باطل فلم م
فانه سبحانه وان كان لا يماثله شيء من الاشيا فمن المعلوم بالعقل ان كل شيئين فهما متفقان
في مسمى الشيء وكل موجودين فهما متفقان في مسمى الوجود وكل ذاتين فهما متفقان في مسمى الذات
فانك تقول الشيء والموجود والذات ينقسم الى قديم ومحدث وواجب وممكن وخالق ومخلوق
ومورد التقسيم مشترك بين الاقسام وغلط من جعل اللفظ مشتركا اشتراكا لفظيا
وهذا الذي بينه الامام احمد من ان مسمى الشيء والوجود ونحو ذلك معنى عام كلي يشترك
فيه الاشيا كلها والموجودات كلها هو المعلوم بصريح العقل ومن نازع فيه فانه ان
يقول ما يناقض هذا اسم في ذلك فانما يناقض فيه كلام الشهرستاني والرازي والامدي الذي عليه عامة العقلاء
وغيرهم يجعلونه تارة معنى عاما مقسوما مشتركا اشتراكا لفظيا ومعنويا بين الاشيا
الموجودات ويجعلونه تارة مشتركا اشتراكا لفظيا فقط كلفظ المشتري المشترك
بين المبتاع والكوكب وسهيل بين الكوكب وبين الرجل فلما كان هذا مما يعرف بالعقل
قال احمد فعند ذلك يتبين للناس انهم لا ياتون بشيء اي لا يقصدون شيئا والامر الذي
انما قال الشاعر وهل يستوي ذو امة وكفور ودلوا من حرير في ناريهم تسمية
الجاثليق الذي ارسل في المحنة المشهورة لما كان المامون قد ذهب الى ناحية
طرسوس

طرسوس وارسل بها الى النايب ببغداد وهو اسحاق بن ابراهيم ان يقراه
على الناس ويدعوهم الى موافقته فامتنع العلماء عن الاجابة حتى ارسل ثانيا يهدد به
الناس وامر بحمل قاضي الرقة وقاضي الحربية ان لم يجيبا وهما بشر بن الوليد وعبد الرحمن
بن اسحاق فاجاب الناس كرها واعتذروا بالاكراه وامتنع عن الاجابة سبعة فقيدوهم
فاجاب منهم خمسة وبقي احمد بن حنبل ومحمد بن نوح النيسابوري فارسلوهما مقيدين فمات محمد بن نوح
في الطريق وبقي احمد بن حنبل ومات المامون قبل ان يصل اليه احمد والمقصود انه ذكر
هنا انه لا يشبه الاشيا بوجه من الوجوه موافقة لمن لم يعرف حقيقة هذه الكلمة
وذكر هنا انه ليس كالاشيا ولا يشبهه شيء ونحو ذلك وكان ان اراد بقوله بوجه
من الوجوه فاسع منها وذلك انه عرف ان مضمون ذلك التعطيل المحض فانه يقتضي
انه ليس بموجود ولا شيء ولا حي ولا عالم ولا قادر ويقتضي ابطال جميع اسمائه الحسنى
وهذا النفي حقيقة قول القرامطة والله تعالى ليس كمثله شيء بوجه من الوجوه بل هو سبحانه
في كل ما هو موصوف به مختص بما لا يماثله فيه غيره وله المثل الاعلى ولكن لفظ التشبيه فيه
اجمال فان كل شيئين الا وهما متفقان في شيء من الاشيا ولو انهما موجودان وذلك الذي
اتفقا فيه لا يمكن بعينه الا في كل منهما فاذا قيل هذا الاسود يشبه هذا بوجه من الوجوه كان هذا
متفقا وكذلك اذا اريد بقول القائل لا يشبهه بوجه من الوجوه هذا المعنى كان صحيحا اذا
اراد به المماثلة والمساواة والمكافاة او اراد بلفظ المشاركة والموافقة والمواطاة فانه سبحانه
لا يماثله شيء بوجه من الوجوه واما نفي بوجه من الوجوه والكمالات التي يصف بها
الشبيه بما هو من الاذكار او المعاني فليس في الموجودات الخارجية اثنان اشتركا في شيء
بل الخالق سبحانه مباين للعرش وغيره من الاشيا التي يسمونها مخلوقات لتسواعل
الناس بلفظ التشبيه والتركيب ولهذا كان الحاكم عليهم من المعتزلة والجهمية وسموا الصفاتية
بل وبعض المتفلسفة ولهذا زعم ابو العباس الناشي ان الاسما التي يسمى بها الله ويسمى بعض
عباده بها هي حقيقة في الله مجاز في عباده عكس قول الباطنية والجهمية ولم يكن

اذ ذاك ظهرت ملاحدة الشيعة قبل ظهور محنة الجهمية في خلافة المامون
والمعتصم من جهة طوايف الملاحدة الباطنية فظهر مع ظهور الجهمية كما ظهرت
الخرمية اصحاب بابك الخرمي وهو احد القاب الباطنية ويقال انه [illegible] في
السنة التي ضرب فيها احمد وظهرت اوايل القرامطة بالعراق ثم صارت لهم شوكة بهجر
مع الجنابي واتباعه ثم ظهرت دعوتهم الكبرى بالمغرب ثم بمصر الى ان جعلوا اهل
السنة [illegible] في الارض [illegible] وهولاء لهم انواع من الالحاد في غير الاسماء والصفات
وحقيقة هذا الموضع من اعظم اصول الدين كما قال ابو المعالي الجويني في الارشاد
من صفات القديم مخالفته للحوادث فالرب سبحانه لا يشبه شيئا من الحوادث
ولا يشبهه شي منها فان الكلام في هذا الباب من اعظم اركان الدين فقد غلت طايفة في النفي
فعطلت وغلت طايفة في الاثبات فشبهت واما الغلاة في النفي فقالوا الاشتراك
في صفة من صفات الاثبات يوجب الاشتباه وقالوا على هذا القديم سبحانه لا يوصف بالوجود
بل يقال ليس بمعدوم وكذلك لا يوصف بانه قادر عالم حي بل يقال ليس بعاجز ولا جاهل
ولا ميت قال وهذا مذهب الفلاسفة والباطنية واما الغلاة في الاثبات فاعتقدوا
ما يلزمهم القول بمماثلة القديم الحوادث قال [illegible] وهذا الذي قاله ابو المعالي
من الاعتناء بهذا الاصل متفق عليه بين الطوايف والذي ذكره عن الغلاة هو قول
الجهمية الذي ذكره الامام احمد ولهذا نقل اهل العلم عن جهم ان لا يسمي الله شيئا [illegible]
لا يسميه باسم من الاسما التي يسمى بها الخلق كالحي والعالم والسميع والبصير بل يسميه
قادرا خالقا لان العبد عنده ليس بقادر اذ كان هو راس الجهمية الجبرية فلما كان
كل موجودين لا بد ان يكون بينهما اتفاق من بعض الوجوه واختلاف من بعض الوجوه
وهذا انكره طايفة من الناس [illegible] وقالوا المتماثلان لا يختلفان والمختلفان لا يشتبهان
[illegible] واضطرب من خالف شيئا

في

من السنة في الاصل الذي يضطرون فيه الى التشبيه اذ جعل مسمى التشبيه والتمثيل
واحدًا فقالت الباطنية وبعض الفلاسفة ان الاشتراك في صفة من صفات الاثبات
يوجب الاشتباه والتماثل وقال النجارية والكلابية المثلان هما المجتمعان في صفة
من صفات الاثبات اذا لم يكن احدهما بالثاني ليخرج بهذا القيد عن القديم
والحادث ثم رد ابو المعالي على الفلاسفة من وجهين احدهما الاتفاق على ان السواد يشارك
البياض في بعض صفات الاثبات من الوجود والعرضية واللونية ثم هما مختلفان وكذلك
الجوهر والعرض والقديم والحادث لا يمتنع اشتراكهما في صفة واحدة مع اختلافهما
في سائر الصفات قال ابو المعالي [illegible] يسمون الصانع المدبر وان اشتق لم يظهر في الحكم
[illegible] فان الحادث [illegible] سووا في الثبوت ولا واسطة بين الاثبات
والنفي فان قالوا ليس بمنفي قيل لهم نفي النفي اثبات كما ان نفي الاثبات نفي وان لم يثبتوا
شيئا في النفي حصل المماثلة فان قالوا نحن لا نطلق الاثبات على صفاته ولا نطلق النفي فلما قد
نطقتم في صفات الرب بالاثبات او بصيغة بصفته والمقصود من العبارات معانيها
ثم نقول المعقود [illegible] الا الله سبحانه فان قالوا لا نعتقد قطع الكلام عنهم فيما هو فرع لهم
على انهم راعوا البديهة لعلمنا ان نفي النفي اثبات وان قالوا نعتقد الثبوت ولا نطلق به
قلنا فلا مشاحة في الحقايق لا في الاطلاقات وان قالوا قصدوا الاله بالثبوت والوجود
ولا نطلقوا به واعتقدنا وجود الحادث ولا نطلقوا به لننفي المماثلة لفظا فالمماثلة
لفظا [illegible] في العقائد فلما [illegible] اللفظ لا دلالة الى الحدوث او الى النقص فهلا اوتي
الى الحدوث والى النقص لانكر [illegible] ثم يحاذر التعطيل اولى من يحاذر التشبيه
وما يتمسك به ان يقول هلا علمتم ان الاشتراك في صفة النفي يوجب الاشتباه وبان الفرق من صفة
الاثبات والنفي في هذا الباب [illegible] معقول ومذكور للحادث وهو سبحانه
مخالف للحادث ولا مخالفة الا بين شيئين قال ابو المعالي

اذ ذاك ظهرت ملاحدة الشيعة مثل [illegible] الجهمية في [illegible] الباطنيون
والمتفلسفة من طوائف الملاحدة الباطنية تظهر مع ظهور الجهمية كما ظهرت
الخرمية اصحاب بابك الخرمي وهو احد الفرق الباطنية ويقال ان سنة خروجه هي
السنة التي ضرب فيها احمد وظهرت ايام القرامطة بالعراق ثم صارت لهم شوكة بهجر
مع الجنابي واما بعد ثم ظهرت دعوتهم الكبرى بالمغرب ثم بمصر الى ان اظهرها اهل
السنة دهاليزهم في الارض معروفون وهؤلاء لهم انواع من الالحاد في نفي الاسماء والصفات
وتحقيق هذا الموضع من اعظم اصول الدين كما قال ابو المعالي الجويني في الارشاد
من صفات القديم مخالفته للحوادث فالرب سبحانه لا يشبه شيئا من الحوادث
ولا يشبهه شيء وهذا الاصل في الكلام زعم الناس من اعظم اركان الدين وقد غلت طائفة في النفي
فعطلت وغلت طائفة في الاثبات فشبهت واما الغلاة في النفي فقالوا الاشتراك
في صفة من صفات الاثبات يوجب الاشتباه وقالوا اعلم ان القديم سبحانه لا يوصف بالوجود
بل يقال ليس بمعدوم وكذلك لا يوصف بانه قادر وعالم حتى يقال ليس بعاجز ولا جاهل
ولا بميت قال وهذا مذهب الفلاسفة والباطنية واما الغلاة في الاثبات فاعتقدوا
ما يلزم منهم القول بمماثلة القديم الحوادث كما [illegible] لم نعينه وهذا الذي قاله ابو المعالي
من الاعتناء بهذا الاصل متفق عليه بين الطوائف والذي ذكره عن النفاة هو قول
الجهمية الذين ذكر الامام احمد ولهذا اهل [illegible] عنهم ان الاسم لله شيء ويقولون انه
لا يسمى باسم من الاسماء التي يسمى بها المخلوق كالحي والعالم والسميع والبصير بل يسميه
قادرا خالقا لان العبد عنده ليس بقادر اذ كان جهم راس الجبرية [illegible] ان
كل موجودين لا بد ان يكون بينهما اتفاق من بعض الوجوه واختلاف من بعض الوجوه
وهذا انكره طائفة من الناس ذلك وقالوا المتماثلان المختلفان والمختلفان لا يشتركان في شيء
في [illegible] واضطرب فيه [illegible] خالف شيئا

من السنة في الاصل الذي يضطرب فيه [illegible] التشبيه اذ جعل مسمى التشبيه والتمثيل
واحدا فقالت الباطنية وبعض الفلاسفة ان الاشتراك في صفة من صفات الاثبات
يوجب الاشتباه والتماثل وقال النجار والكلابية المثلان هما المجتمعان في صفة
من صفات الاثبات اذا لم يكن احدهما بالثاني ليجوز بهذا القدح على القديم
والحادث ثم رد ابو المعالي على الفلاسفة بحجج احدها الاتفاق على ان السواد يشارك
البياض في بعض صفات الاثبات من الوجود والعرضية واللونية ثم هما مختلفان وان كذلك
الجوهر والعرض والقديم والحادث لا يمتنع اشتراكهما في صفة واختلافهما مع اختلافهما
في سائر الصفات قال ابو المعالي ويقال لهم اتسمون الصانع المدبر اثباتا لزمهم من الحكم
باثباته ما حاذروه فان الحادث ثابت فاستويا في الثبوت وان ابوا سقط الاثبات
والنفي وان قالوا ليس بمنفي قيل لهم نفي النفي اثبات كما ان نفي الاثبات نفي وانه لزم الثبوت
من نفي النفي حصلت المماثلة وان قالوا نحن لا نطلق الاثبات على صفاته ولا نطلق نفيه قلنا فقد
نطقتم في صفات الرب بالاثبات او بصيغة نفيه والمقصود من العبارات معانيها
ثم نقول انتم تعتقدون ثبوت الاله سبحانه فان قالوا لا نعتقد قطع الكلام عنهم فيما وقع لهم
على انهم ادعوا التشبيه لعلمنا بان نفي النفي اثبات وان قالوا نعتقد الثبوت ولا ننطق به
فلما [illegible] في الحقائق لا الى الاطلاقات وان قالوا وصفوا الاله بالثبوت والوجود
ولا نطلقوا به واعتقدوا وجود الحادث ولا نطلقوا به لننفي المماثلة فقطعا المماثلة
لفظا اما يوقن في الحقائق فلما سوى اللفظ لا حاجة الى الحدوث او الى النقص فلا يؤدي
الى الحدوث والى النقص لا نكترث به ثم يحاذرون التعطيل ولكن يحاذرون التشبيه
[illegible] تمسك به ان يقول هلا علمتم الاشتراك في صفة النفي يوجب الاشتباه وسالا فرق بين صفة
الاثبات والنفي وهذا الذي [illegible] معقول ومذكور للحادث وهو سبحانه
مخالف للحادث ولا مخالفة الا بما [illegible] قال ابو المعالي

فاما ما قيد به النجار فلازمه وليس بعاصم من ان التماثل يلزم من الاجتماع
في الصفة فان ما سكروا احدهما بالتنافي او المصير الى انه لعسر به ولا اثر له في
التشابه والتماثل واختار ابو المعالي ما اختاره القاضي ابو بكر وما سالته ان
المثلين كل موجودين ثبت لكل واحد منهما من صفات النفس ما ثبت للاخر
ولا يجوز ان ينفرد احد المثلين عن الاخر بصفة نفس ويجوز ان ينفرد بصفة معنى
ومن ها هنا قالوا في تماثله وبيان ذلك ان الجواهر متماثلة لتساويها في
صفات الانفس اذ لا ينفرد جوهر عن جوهر في التحيز وقبول العرض
والقيام بالنفس وقد يختص بعض الجواهر بضرب من الاعراض ويجوز
انتفاؤها عن سائر الجواهر ويجوز ان يشارك الشيء ما يخالفه في الوجود مثل
كونهما عرضين لونين كالبياض والسواد والحركة والسكون مماثل الشيئين من
وجه ويختلفان من وجه لا يرد اذا علمنا المثلين هما المتساويان في جميع
صفات النفس فاذا اختلف الشيئان من وجه فليسا مثلين من كل وجه
اذ يستحيل التماثل من جميع الوجوه مع الاختلاف من وجه من الوجوه قال بعضهم فلت
وهذا اصل يلقوم المعتزلة وهو ان الجواهر والاجسام متماثلة بخلاف الاعراض
فانها قد تختلف وقد تتماثل وضعف هذا القول ان الاجسام متماثلة من كل وجه لا
تختلف من وجه دون وجه مثل الثلج مماثل للنار والخبز للحديد من كل وجه اذ كانا
متماثلين في صفات النفس عندهم وهذا فاسد ويفرق بعضهم بين الصفات النفسية
والمعنوية اللازمة للمعين اشد ويصير المطففين بين الصفات الذاتية واللازمة الماهية
فكل جسم له صفات نفسية لا يشركه الاخر ولا يانا صفاته النفسية يدعي المذكور
انه لا يشركه من الصفات النفسية الا التحيز وقبول العرض والقيام بالنفس فقد
خرج قول المطففين ولذلك جعلوا مثلا كون الحيوان حساسا متحركا بالارادة
الصفات

الصفات الذاتية وهؤلاء لم يجعلوا له صفة نفسية الا كونه جسما والتحيز وقبول العرض
والقيام بالنفس مما يشترك فيه الاجسام كلها والامور المختلفة تشترك في لوازم كثيرة
كاشتراك الالوان المختلفة في اللونية والعرضية ليس جعلهم الناس مجرد كونها متحيزا
قابلة للعرض قائمة بالنفس هو احد من لوازمها وايضا فقد يسلم هؤلاء ان المثلين ما تشابه
التشابه من وجه دون وجه كالمعاني وعندهم ان الاعراض المختلفة تشترك في امور وقد صرحوا
بان القديم والحادث يشتركان في الثبوت وانه يشارك المحدث في امور والاشتراك في بعض
صفات الاثبات لا يكون تماثلا وهذا تصريح بان المختلفين يستويان ويشتركان في بعض
الصفات فلم لا يمكن ان يقال مع هذا ان المختلفين لا يستويان في بعض الوجوه وقد صرح
بتساويهما في بعض الوجوه الاشتباه وجاء هذا ان يقال انهما لا يختلفان في وجه من الوجوه
في الصفات النفسية وان استويا في الصفات المعنوية وهذا مع ان اللفظ لا يدل عليه
يعود الى ما ذكره من ان الله ليس كمثله شيء يساوي بعض الاجسام ويماثلها كما اخبر من ذلك
عن بعض الاعراض فقال وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل
ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ولا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم مع ان لكن بعض
الاجسام امثالا اوسيما بالعرض واذا قيل ان الاجسام اختلفت بما عرض لها من الاعراض
قيل من الاعراض ما يكون لازما للنوع الجسم او للجسم المعين كما يلزم الحيوان انه حساس متحرك
بالارادة ويلزم الانسان انه ناطق وكما يلزم الانسان المعين ما يخصه من احساسه ونوع
حركته بالارادة ونطقه وغير ذلك من الامور المعينة التي لا يشركه فيها غيره فهذا الحيوان يكون
عارضا له اذ هو لازم له فلا يعقل جسم مجرد عن الصفات كلها عرضت له بعد ذلك واذا قيل الاجسام
تختلف بالاعراض فهي لازمة لها كانت من لوازمها ان تكون مختلفة وتمام هذا ان الاشياء تتماثل وتختلف
بذواتها لا تحتاج ان تقول تتماثل في ذواتها والذوات تختلف بصفاتها ولهذا كان الصواب

ان الرب سبحانه غير مماثل لخلقه بل هو مخالف لهم بذاته لا نقول انه مساو لهم بذاته
وانما خالفهم بصفاته ودعوى من ادعى ان الاجسام مركبة من جواهر لا تنقسم وانها باقية
ليس لها شيء من هذه الاعراض ولكن لما تركبت صارت متصفة بهذه الصفات كاتصاف
النار بالحرارة والماء بالرطوبة دعوى باطلة وان الجسم المعين كهذه النار لم يكن اجزاء قبل عارية
عن كونها نارا بل النار اذا استحالت دخانا او هواء ثم ذلك الهواء صار نارا قيل نعم وتلك الاجزاء الهوائية
لم تكن فقط الاجزاء واستحالة الجسم الى جسم اخر مشهود معروف كقول الفقهاء استحالة الخمر
خلا والعذرة رمادا والخنزير ملحا وتولد الانسان نطفة ثم علقة ثم مضغة واما ان يقال ان اجزاء
العذرة بقيت وهي بعينها باقية حتى صارت رمادا وانما تغيرت صفاتها كما يتغير اللون
والشكل بمنزلة الثوب المصبوغ وبمنزلة الخاتم اذا جعل درهما فهذا مكابرة للحس لان
الفضة التي كانت خاتما هي بعينها التي جعلت درهما او سوارا وانما تغير شكلها والشمع
اذا غير شكلها ولذلك اذا صبغ الجسم او حرك فهنا اختلفت صفاته التي هي اعراض واما المني
اذا صار ادميا والهواء اذا صار نارا والنار اذا طفئت صارت هواء فهنا نفس حقيقة
الشيء استحالت فخلق من الاول ما هو مخالف له وعدمت الاولى ولم يبق من نفس حقيقتها
شيء ولكن بقي ما خلق منها كما ان الانسان الذي خلق من ابيه بعد موت ابيه ولا نقول
عاقل انه عاد اجزاء كانت في ابيه تفرقت فيه وهو [illegible]
واليوم الاخر في الخلود [illegible]
او الجواهر المنفردة ويحقق ذلك انا نشهد الاعيان المرئية تتحول من حال الى حال
كما نشهد الشمس والقمر والكواكب تتحرك من مكان الى مكان ونشهد السحاب
والرياح تتحرك كذلك السحاب نشهد اجتماعه وتفرقه وخروج الودق من خلاله ونشهد
الماء يتحرك ويجتمع ويفترق ونشهد النبات والحيوان ينمو ويتغذى ومثل هذا يشهد في الماء
والهواء والافلاك وحركتها بالنمو والاغتذاء ليست من جنس حركة النار والهواء والنجوم
فان هذه توجب تغير النامي المغتذي واستحالته من الوجه بخلاف الكواكب

هي في نفسها لم تنتقل وتعرف بالحركة بخلاف الطفل اذا كبر بعد صغره والزرع
اذا استوى ونشهد انصار الحطب بصيرورته رمادا ودخانا والدهن يصير دخانا والماء
بخارا وليس هذا مثل كبر الصغير بل هذا نوع من الاستحالة والانقلاب [illegible] النوع
والحيوان ونشهد اخراج الله سبحانه من الارض والشجر الزرع والثمر واخراج الحيوان
من الحيوان كما قال تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها
فنشهد اخراج الثمر من الخشب وليس فيه [illegible] ثم يخرج خضرا
ثم يصفر ثم يحمر مختلفة الوانها وكذلك غير ذلك من الالوان المختلفة التي يخلقها الله للحيوان
والنبات ونعرف بالاضطرار اختلاف الوانها وحركاتها وطعومها بالسواد والحمرة
والصفرة والبياض والحلاوة والحموضة وخروج السنبلة من الحب والشجرة من
النواة [illegible] لم يعقل خروج الثمرة منها الا استحالت
حقيقتها وكذلك الارض وكذلك الانسان لم ينفصل خروجه من ابيه وخروج البيضة
من الدجاجة ولكن خلق الفرخ من البيضة من جنس خلق الانسان من المني والذي
يعقل من اجتماع الاجزاء وافتراقها ان [illegible] مثل الماء [illegible] حتى يصير
اجزاؤه في غاية الصغر [illegible] وكذلك الزئبق [illegible] لا تستحيل بعد [illegible]
[illegible] تبقى الاجزاء [illegible] اذا قطعت اجزاؤه وقد
[illegible] الاجزاء الحطب ليست هذه الاجزاء [illegible] اذا صار رمادا واجزاء
[illegible] شيء [illegible] حقيقة شيء اخر [illegible]
[illegible] في جميع الاحكام [illegible]
[illegible] منها والحكم المعلق بالذهب والفضة [illegible]
[illegible] ثابت فيه [illegible]
[illegible] المعدن [illegible] وفضة [illegible]

واما النحو والنمو فيعد منها كله لانه لا يشهدها الا من ثلاث اجزا
السعي واستحالتها انما يشهد من هذه المنقلبات وانما يشهد خروج من لها طعم
ولون وريح من جنسه مخالفة لها غاية المخالفة مع ان تلك الحسية وتدوم بدوام مع
خروج الثمر سهلها اذا نرى ذلك استحالة لطيفتها من الماء والهوا والتراب ولكن
خلق الحيوان والنبات والمعدن من العناصر ليس هو من جنس استحالة هذه
المولدات بعضها الى بعض ولا سيما اذا كان بافعالنا فلا مانع من السبب
ما فعله الناس من خلقه اجمع والمقصود ان من يقول ان هذه المخلوقات التي
خلقها الله سبحانه بعضها من بعض ليس خلقه لها الا تغيير صفاتها وان
حقيقة كل شي جواهر اصلية متماثلة باقية لا يتغير حقيقتها اصلا ولكن تركيبها
الاخر فينقل كلام لا حقيقة له وهو متضمن امورا باطلة اثبات جواهر باقية بانفسها
مخلوقة وراء هذه الاعيان المشهودة وذلك باطل لا حقيقة له واما قول اهل
الجواهر الحسية من جنس اثبات اخرين لجواهر عقلية قائمة بانفسها وراء هذه
الاعيان يسمونها المادة والصورة واثبات هذه الجواهر متماثلة والاعيان
المشهودة متماثلة هو امر لا حقيقة له ودعوى ان خلق الله للمخلوقات من الحيوان
والنبات والمعدن ليس الا احداث اعراض وصفات ليس فيه خلق لاعيان قائمة
بنفسها ولا احداث لاجسام وجواهر قائمة بنفسها كالهواء والرياح والماء ينقلب
الماء هذا بينهما ناس ابطل الباطل فهو وامثاله الزموا هو لم يعلم ابان الله
الشاهد لوجوده وقدرته ومشيئته انكروا وجودها ما الحكمة وادعوا انه ليس في ذلك
ابداع عين ولا خلق قائم بنفسه وانما هو احداث اعراض والواجب ... يحصل
احداث بعض الاعراض ثم اقتصروا في ذلك على مجرد احداث اعراض وصفات ثم ارادوا ان
يثبتوا ابداعه لجميع الاعيان بان ادعوا وجود جواهر منفردة لا حقيقة لها وادعوا في
الاعيان المحدثات كذلك

لا حقيقة لها ثم ارادوا ان يثبتوا حدوث هذه الجواهر بمجرد قيام الاعراض والحركات
بها وذلك من ابعد الاشيا عن الدلالة على المطلوب فاحتاجوا الى تلك المقدمات الباطلة
المناقضة للعقل والملة للانبيا والاخر ثم اثبتوا ان هذا صفاته واما اثبات صفات لا
موصوف لها فلم يسوا بانه الا ما حدث صفات الاشيا ومن هذا مثل له ...
القرامطة فاثبات الرب ودلالة بوجوده وصفاته هو الحق وان هؤلا خالفوا القران
في اصول الدين والدلائل وفي بعض المسائل بمعارضة اقوال الانبيا بارا الرجال وتقديمها عليها
هو من فعل المكذبين للرسل كما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل اصل كل
شر هو من معارضة النص بالراي وتقديم الهوى على الشرع وهو كما قال فان الله سبحانه
ارسل رسله وانزل كتبه وبين ان المتبعين لما انزله هم اهل الهدى والمعرضين عنه اهل
الشقا قال تعالى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الايات
واخبر سبحانه عن اهل النار انهم انما دخلوها بمخالفة الرسل وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم
يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
فالكلام الذي جاءت به الرسل نوعان اما انشا واما اخبار والانشا يتضمن الامر عن الله تعالى
والنهي فالاخبار اصل السعادة تصديق خبره وطاعة امره واصل الشقاوة معارضة
خبره وامره بالراي وتقديم الهوى على الشرع ولهذا كان ضلال من ضل من اهل الكلام
واسلم في النوع الخبري بمعارضة خبر الله عن نفسه وعن خلقه بعقولهم
وارائهم وضلال من ضل من اهل العبادة والفقه في النوع الطلبي بمعارضة امر الله تعالى
الذي هو شرعه بما هوائهم وارائهم والمقصود هنا ان معارضة اقوال الرسل باقوال
غيرهم من فعل الكفار قال تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا وما ارسل الله عليه
من القران كفر فهو من معارضة القران وجادل فيه بعقله ورايه فهو داخل في ذلك

وان لم يزعم تقديم كلامه على كلام الله ورسوله فلا بد ان ياتي بما يوجب الريبة والشك في كلام الله تعالى
فقد دخل في ذلك ولهذا ترى من يزعم ان ما يقوله بعقله ورايه مقدم على نصوص الكتاب والسنة
ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه والسلطان
الكتاب المنزل من السما كما ذكر ذلك غير واحد من المفسرين ونظائره كثيرة كقوله تعالى ام انزلنا عليهم
سلطانا ما انزل الله بها من سلطان فمن عارض كتاب الله المنزل برايه من غير سلطان اتاه دخل في
معنى هذه الاية وهذا مما يبين ان الخوض في معارضة كتاب الله الا بكتاب الله وكتاب الله نوعان
فكلام الله خبر وامر والخبر لا يجوز ان يناقضه لكن قد يفسر احد الخبرين الاخر والامر يدخله النسخ
ولا ينسخ ما انزل الله الا بما انزل الله والقرامطة جمعوا بين نسخ شرع الله ما هو ومن دخل معهم
محمد ص فزعموا ان اسماعيل بن جعفر هو السابع الذي نسخ دين محمد صلى الله عليه وسلم وتعرض لدعوى النبوة
غير واحد من الملاحدة واخرون ادعوا العلم بما ... ان ختم الولاية ... من ختم وزعم انها افضل
النبوة واما دعوى الفلسفة والحكمة ... وزعم كثير منهم على من النبوة وهولا الملاحدة
نوعان نوع يزعم انه ينزل عليه ... بدعيه من ملاحدة المتصوفة ومنهم من يقول القي الي
او اوحي الي ولا يسمي الموحي ومنهم من يجعلون انهم يقولون ذلك برايهم وقد جمع الله هولا في قوله تعالى
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله
فاما المؤمنون فلا يتصوبوا ... سوا امراهم على قوله ... دعاهم الله بقوله لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله الاية ولكن البدع مشتقة من الكفر فلهذا معارضة النصوص الناس عن
الايمان بارا الرجال من شعب الكفر وان المعارض ... بعيد التعارض وقد ذم الله تعالى اذا ذكر
ابين ... من اهل الكفر على انهم يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وسبيل الله هو ما بعث به رسله
فمن ... عن تصديق رسل الله او عن تصديق ما اخبرت به الرسل ومن ... العقل بما يناقض
ذلك فقد بغى ان تطلب سبيل الله عوجا ... فاحتاج ذلك ... عن الحق
وقد اخبر الله انه انما ارسل رسله بالهدى والبيان لتخرج الناس من الظلمات الى النور
باذن ربهم وقال وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ونحو ذلك ... الايمان بالله واليوم

الاخر اما ان يكون الرسول تكلم فيه بما يدل على الحق او بما يدل على الباطل او لم يتكلم الا بما يدل على الحق ولا بما
يدل على الباطل ومعلوم ان من لم يتكلم في اصل الايمان بالله واليوم الاخر ... الا بما يدل على الباطل او سكت
لم يكن قد هدى الناس ولا اخرجهم من الظلمات الى النور ولا بين لهم ما نزل اليهم فكيف بمن
... بعلم بانهم ... بعض الحق ... لوازمه وذلك معلوم الفساد بصريح العقل
لمن ... التصديق بما جا ... بكلامه وبما هداه ... ومن زعم ان الحق قول نفاة الصفات
الذي يعلم بالعقل فكلام الله ورسوله لم يدل على قول نفاة الصفات ولا لم يحصل بها الهدى
والبيان للمخاطبين بالقران ان كان قول النفاة هو الحق ومعلوم ان كلام الله ورسوله دل على اثبات
الصفات المناقض لقول النفاة ولا يشك ... جمهور الناس انها دالة قطعية على ذلك
والمعتزلة ونحوهم من النفاة معترفون بانها دالة ظاهرة وادعاه الرسول لم يظهر للناس الا
اثبات الصفات دون نفيها ... الذي زعم انه الحق وذكر بعضه وهذا ... ولا الجهوا ... بل الا ...
بما يعلم الله ليس للناس ... الى الطريق التي يسوغ فيها تقديم الرجال على كلام الله ورسوله
بما يصدق الرسول ... نعلم بالاضطرار ان الرجل لو قال للرسول هذا القران والحكمة التي
بلغته الينا قد تضمن اشيا تناقض ما علمناه بعقولنا ونحن انما علمنا صدقك بعقولنا
فلو قبلنا جميع ما تقوله مع ان عقولنا تناقض ذلك لكان ذلك قدحا فيما علمنا به صدقك
فنحن نعتقد موجب الاقوال المناقضة لما ظهر من كلامك وكلامك نعرض عنه لا نتلقى منه هدى
ولا علم لم يكن مثل هذا الرجل مؤمنا بما جاء به الرسول ولم يرض الرسول منه بهذا بل يعلم
ان هذا لو ساغ لامكن كل احد ان لا يؤمن بشي مما جاء به الرسول اذ العقول متفاوتة والشبهات
كثيرة والشياطين لا تزال تلقي الوساوس وقد ظهر ذلك في القرامطة الباطنية الذين ردوا
عامة الظاهر من الامر والخبر وزعموا ان العقل ... ذلك ثم قد يقولون الظاهر خطاب
للجمهور والعامة حتى يصل الشخص الى معرفة الحقيقة التي يزعمون انها تناقض ما بينه الرسول
وحينئذ يسقط عنه ... ويسوغ له ... ومن ... علم علما المسلمين ان قول الباطنية
بالضرورة ... المعاد ... المسلمين ... الفلاسفة في ذلك المناقض لذلك

معلوم الفساد بالضرورة وكذلك ما أخبر به الرسول من الأسماء والصفات
يعلم أهل الإثبات أن قول النفاة معلوم الفساد بالضرورة وأصل هذا
الإلحاد هو معارضة ما جاء به الرسول بالعقول والآراء وقد بين الله في كتابه
أن هذا صنيع شياطين الإنس والجن المعادين للأنبياء قال تعالى اتبع
ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين إلى آخر الحزب أي وما يشعركم
أنها إذا جاءت لا يؤمنون وأما قوله ولتصغى إليه أفئدتهم فقوله ولتصغى معطوف على قوله
لا يؤمنون وكلاهما داخل في معنى قوله وما يشعركم ويشهد له قوله ... الآية
وأن يعني يفعل ليوحى إلى قوله وتقلب يفعل هذا القول وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا إلى قوله ولتصغى إليه
أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون أفغير الله أبتغي حكما
وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا إلى قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو
السميع العليم ومن تدبر هذه الآيات علم أنها منطبقة على من يعارض كلام الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام بكلام غيرهم فإن هؤلاء أعداء ما جاءت به الأنبياء وأصل
العداوة البغض فإن أصل الولاية الحب وهؤلاء لا يحبون ... الكتاب
والسنة بل ... بعض ما خالف قولهم ... لم يكن يدل ... الأحاديث
ولا أسلمه ... لم ... لنشط وذكر ... ولهذا قال بعض السلف ما ابتدع
أحد بدعة إلا خرجت حلاوة الحديث من قلبه ونقل عن بعض رؤوس الجهمية إما بشر
المريسي أو غيره ليس شيء أنقض لقولنا من القرآن فأقروا به في الظاهر ثم صرفوه بالتأويل
ويقال إنه قال إذا احتجوا عليكم بالحديث فغالطوهم بالتكذيب وإذا احتجوا بالآيات
فغالطوهم بالتأويل ولهذا تجد الواحد من هؤلاء لا يحب سماع النصوص النبوية بل قد
يختار ... ذلك والنهي عن إشاعته خلاف ما أمر الله به ورسوله من التبليغ كما

ليبلغ الشاهد الغائب نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه ... وكلام الله ورسالته الذين
يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى وفي هؤلاء جاء الأثر عن عمر إياكم وأصحاب الرأي فإنهم
أعداء السنن أعيتهم السنن أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها وسئلوا فقالوا في الدين
برأيهم وقال عبد الله بن مسعود لا يأتي على أحدكم ... إلا ... كان ... القرآن ... رسول الله
وإذا ... القرآن ... فعل الله وعدو الإسلام شياطين الإنس والجن كما قال أبو ذر للنبي صلى الله عليه وسلم
أنا أذن يعوذ بالله من شياطين الإنس والجن فقال أو للإنس شياطين فقال نعم من شياطين
الجن وهو الذي يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا والزخرف هو الكلام المزين كما يزين
الشيء بالزخرف وهو الذهب وذلك غرور لأنه يغر المستمع والشبهات المعارضة لما جاءت به
الرسل كلام مزخرف ... المعارضة لما جاءت به الرسل تصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون
بالآخرة كما رأيناه وجربناه ثم قال أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا
والحكم ... هو الله تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله والكتاب مفصل مبين ... ما
يعتمد من يعارضه بآراء الرجال ويقول إنه لا يفهم معناه وإنما يعلم بالظواهر والرأي فيجعله مجملا الحاكم
له أو يقول لا أعلم معناه ولا دليل يدل على عين المعنى المراد به ولهذا كان
المعرضون عن النصوص المعارضون لها متفقين على أنه لا يعلم عين المراد به وإنما
غايتهم أن يذكروا احتمالات كثيرة ويقولون يجوز أن يكون المراد واحدا منها ولهذا أمسك
من أمسك منهم عن التأويل لعدم العلم بعين المراد فعلى التقديرين لا يكون الكتاب
عندهم الحاكم مفصلا بل مجملا أو ... ولا دليل على إرادته ثم قال والذين آتيناهم
الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وذلك أن الكتاب الأول مصدق للقرآن فمن نظر
فيما بيد أهل الكتاب من التوراة والإنجيل علم علما يقينا أن هذا وهذا من مشكاة واحدة
لا سيما في باب التوحيد والأسماء والصفات وهذا أمر ... التوراة من ذكر ... الجدل

الذي انزل عليهم القرآن بل هو الحق الذي صدقهم ولهذا لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه عليهم ذلك ولا قالوا انه خصم ثم قال وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا فقرر
ان ما اخبر الله به فهو صدق وما امر به فهو عدل وهذا يقرر ان ما في النصوص
من الخبر فهو صدق علينا ان نصدق به لا نعارضه ومن دفعه لم يصدق ان
وانما قال انا اصدق الرسول جملة وقد ذم الله اهل الكتاب على كتمان ما انزل الله
وعلى الكذب فيه وعلى تحريفه وعلى عدم فقهه فانهم لا يستطيعون ان يسمعوا له وقد كان فريق منهم ١١
يسمعون كلام الله ثم يحرفونه الى قوله فويل لهم مما يكسبون فذم المحرفين له والاميين
الذين لا يعلمون الكتاب الا اماني والذين يكتبون الكتاب بايديهم ويقولون هو من عند الله وما هو
من عند الله فذم الذين يقولون ما ليس في الكتاب وهذه الانواع الاربعة موجودة في
الذين يعارضون النصوص بارائهم واهوائهم فان منهم من يرد الاحاديث المخالفة لاقوالهم
ومنهم طوائف يصفون الحديث بما يوافق بدعتهم كالحديث الذي يحتج به اهل الكوفة
اول ما خلق الله العقل والحديث الذي يحتج به الجهمية كان الله ولا شيء معه وهو الان
على ما عليه كان والحديث الذي يحتجون به في نفي الرؤية لا يسعني لا اجل لرسول الله
في الدنيا ولا في الاخرة والحديث الذي يحتجون به في نفي العلو كالحديث الذي رواه ابن
عساكر في املاه في نفي الجهة عن شيخه عبد الله العوسجي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الذي اين الاين فلا يقال له اين ويعارض به حديث الاوعال الذي رواه
ابو داود وغيره الذي قال فيه نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك
والترمذي في الجامع الذي اتفق اهل الحديث اعلم العلماء على ان من
الذي الحديث وغاية ما قال فيه انه غريب والاحاديث التي يحتج بها الاتحادية
من صوفية وغيرهم مثل قولهم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني رايت ربي ... مثل الاحاديث
التي يحتج بها الحلولية ان الله تعالى يا ليعاين حديثا كان لا اول وقد ... لـه

عشية عرفة الى الارض يصافح الركبان ويعانق المشاة ونزوله الى بطحاء مكة وقعوده
على كرسي بين السماء والارض ونزوله على صخرة بيت المقدس وما اشبه ذلك فهم فان النصوص
التي يقرونها فانهم يحرفونها بالتاويل فان بعضهم فسرها بتدبيرها منصورة الاسماء الذين
لا يعلمون الكتاب الا اماني يحدثهم بعضهم عن القرآن والحديث ومنهم طوائف لا يعرفون
القرآن كالكثير من الرافضة والجهمية لا يحفظ احدهم القرآن ولو حفظوه فلا يعقلون الا بعضهم
واما الحديث فمنهم من لا يعرفه ولم يسمعه واكثرهم لا يصدقون به اذا صدقوا به اعرضوا عنه ولا عرضهم
اعظم من القرآن حتى ان منهم طوائف يصدرون ما اخرجه الرجل القرآن من الصفات
واما الحديث فلا يقرون بالخبر به فمن هؤلاء امثالهم دخلوا في قوله صلى الله عليه وسلم في
الحديث الصحيح لتتبعن سنن الذين من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا
جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن فان ... ما
ذكرنا قد يشعر بانه ليس لاحد ان يعارض حديثا ولا يستشكل معناه وقد كان
الصحابة يسألون كذلك ففي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال من نوقش الحساب عذب
قالت عائشة يا رسول الله اليس الله يقول فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب
حسابا يسيرا فقال ذلك العرض ومن نوقش الحساب عذب ولما قال لا يدخل النار
احد بايع تحت الشجرة قالت حفصة اليس الله يقول وان منكم الا واردها فقال
الم تسمعي قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال لهم عام الحديبية
الم اكن حدثتكم انا ناتي البيت ونطوف به قالوا بلى قلت لكم انكم تاتونه هذا العام
قالوا لا قال فانكم اتيه ومطوفون به فلم يكن في الصحابة رضي الله عنهم من يقول
ان عقله يقدم على نص الرسول وانما كان يشكل على احدهم فهم النص فيسال عما يزيل شبهته
فيتبين له ان النص لا يشتبه به فلما بين النبي صلى الله عليه وسلم ان من نوقش الحساب عذب
الناجين لم يعذبهما بين حسابا والحساب يراد به الموازنة بين الحسنات والسيئات

وهذا يسمى المناقشة ويراد به عرض الاعمال على العامل وتعريفه بها
ولهذا لما تنازع اهل السنة في الكفار هل يحاسبون ام لا كان فصل الخطاب
اثبات الحساب بمعنى عد الاعمال واحصائها وعرضها عليهم لا بمعنى اثبات
حسنات نافعة لهم في ثواب يوم القيامة تقابل سيئاتهم ولذلك لما قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة لم يرد به المرور على الصراط فان
ذاك لا يسمى دخولا ولكن يسميه الله ورودا ولفظ الورود يحتمل العبور الاعلى
وانما بالورود هنا الدخول قد يراد ورود اعلاها وفي الصحيح اذا عبر اهل الصراط
منهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كاجاويد الخيل وفسر النبي صلى الله عليه وسلم
الورود بهذا وهذا عام لجميع الخلق فلما قالت حفصة لما سمعته يقول وان منكم الا
واردها لم تفهمه معارضة صحيحة لما اخبره به فبين لها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان قوله
ان الله قال ثم ننجي الذين اتقوا فكذلك الخاص هو المعنى الذي اراد بقوله لا يدخل النار
من بايع تحت الشجرة وان قيل فعائشة عارضت ان الميت يعذب ببكاء اهله
بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وعارضت من روى ان النبي صلى الله عليه وسلم خاطب
اهل القليب بقوله انك لا تسمع الموتى قيل الجواب من وجهين احدهما
انا لا نسلم انهم كانوا يعارضون نصا بنص احدهما الثاني ان معارضة النصوص بمجرد عقله
والنصوص لا تتعارض في نفس الامر الا ان الامر والنهي اذا كان احدهما ناسخا والاخر
منسوخا واما الاخبار فلا يجوز تعارضها واما اذا قدر ان الانسان تعارض
عنده خبران واحدهما عام والاخر خاص وعلم الخاص على العام فانه يعلم ان ذلك ليس
متعارضا في نفس الامر وان الخاص لم يدخل فيما اراده المتكلم باللفظ العام
فالدليل الخاص بين انه لم يرد باللفظ العام كما في قوله يوصيكم الله في اولادكم
فالسنة بينت ان الكافر والعبد والقاتل لم يدخل في ذلك وهذا عند من يجعل
اللفظ

اللفظ عاما لهؤلاء واما من قال العام في الاشخاص مطلق في الاحوال فانه يقول
ان الاية تعم كل ولد ولكن لم يبين فيها الحال التي يرث فيها الولد والحال التي لا يرث
فيها ولكن هذا مبين في نصوص اخرى وهؤلاء يقولون لفظ القران باق على عمومه ولكن
ما سكت عنه لفظ القران من الشروط والموانع بين في نصوص اخرى وهكذا يقولون
في قوله والسارق والسارقة فاقطعوا وامثاله من عمومات القران وظواهره ولا يقولون ان ظاهر
اللفظ متروك ولكن يقولون ما سكت عنه اللفظ بين في نصوص اخرى ويقولون فرق بين ما
عمه اللفظ وبين ما سكت عنه من احوال ما عمه فان اللفظ مطلق في ذلك لا عام له
واذا كان من كلام الله تعالى ورسوله كلام مجمل او ظاهر قد فسر معناه وبينه كلام اخر متصل
به او منفصل عنه لم يكن فيه اختلاف صحيح في كلام الله ورسوله ولا عيب في ذلك ولا نقص كالحديث
الصحيح يقول الله عبدي جعت فلم تطعمني فيقول رب كيف اطعمك وانت رب العالمين
فيقول اما علمت ان عبدي فلانا جاع فلو اطعمته لوجدت ذلك عندي عبدي عطشت
فلم يسقني الحديث فهذا الحديث قد قرن به الرسول بيانه وفسر معناه فلم يبق في
ظاهره ما يدل على باطل ولا احتاج الى معارضة بعقل ولا ما ذكر من التاويل
عندهم هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح ولفظ التاويل يراد به التفسير
كما في كلام ابن جرير وغيره من المفسرين ويراد به حقيقة ما يؤول اليه الكلام وهو المراد
بلفظ التاويل في القران والتاويل بمعنى التفسير والبيان كان السلف يعلمونه ويتكلمون فيه
واما المعنى الثاني فهو ما لا يعلمه الا الله ولهذا كانوا يثبتون العلم بمعاني القران
وينفون العلم بالكيفية كقول مالك وغيره الاستواء معلوم والكيف مجهول فالعلم
بالاستواء من باب التفسير هو التاويل الذي يعلم واما الكيف فهو التاويل الذي لا
يعلمه الا الله وهو المجهول لنا ومراد التاويل في اصطلاح كثير من المتاخرين

صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح وهذا هو الذي
يدعيه نفاة الصفات والقدر ونحو ذلك في نصوص الكتاب والسنة وهؤلاء
قولهم متناقض فانهم يسوغون في الاصلين ما يسوغون فانهم يقولون لا بد من تاويل
بعض الظواهر كما في قوله جعت فلم تطعمني وقوله الحجر الاسود يمين الله في الارض ونحو ذلك
ثم انهم يتصرفون في ذلك وانهم جعلوا في هذا الباب يجعلون ما دل على المعنى الفاسد هو
الظاهر ليجعلوا في موضع اخر المعنى الظاهر فاسدا وهم يخطئون في هذا وهذا
ويضمون كلا منهم ان كلام الله ورسوله في ظاهره كفر والحاد من غير بيان من الله ورسوله
للمراد واذا تدبرت هذه النصوص وجدتها قد بينت المراد وازالت الشبهة
فان الحديث الصحيح لفظه عبدي مرضت فلم تعدني فيقول انما هو ذكر وانت
رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده
ففسر الفاظ الحديث نصوص بان الله فسر المرض واعاد الذي مرض عبده
المومن ومثل هذه الالفاظ ظاهره ان الله يمرض فيحتاج الى تاويل الا ان اللفظ اذا قرن
بما يبين معناه كان ذلك هو ظاهره كاللفظ العام اذا قرن به استثناء او غاية
او صفة كقوله تعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وقوله فصيام شهرين متتابعين
فالناس يعقلون على ان ليس ظاهره الفا كاملا والشهرين سوا كانا [illegible]
واما قوله الحجر الاسود يمين الله في الارض فهو اولا ليس من الحديث الثابت
عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحتاج ان يدخل في هذا الباب ولكن هو الذين يروون
في الاحاديث الصحيحة احاديث هي موضوعة ويقولون ان الجمع كما فعل
بشر المريسي ومحمد بن شجاع الثلجي وابو بكر بن فورك في كتاب مشكل الحديث حتى

انهم

انهم يتاولون حديث عرق الخيل وامثاله من الموضوعات هذا مع ادعاء ما فيه
من تاويل الاحاديث الصحيحة بتاويلات المريسي وامثاله وقد يكون الحديث ثابتا كحديث
رويته ربه في احسن صورة فيجعلونه يقظة ويجعلونه ليلة المعراج ثم يتاولونه وقد
صنف القاضي ابو يعلى كتابه في ابطال التاويل ردا لكتاب ابن فورك وهو وان كان اسند
الاحاديث التي ذكرها وذكر من رواها ففيها احاديث موضوعة كحديث الرؤية عيانا ليلة
المعراج ونحوه وفيها اشياء عن بعض السلف رواها بعض الناس مرفوعة كحديث
قعود الرسول صلى الله عليه وسلم على العرش رواه بعض الناس من طرق كثيرة مرفوعة
وهي كلها موضوعة وانما الثابت انه عن مجاهد وغيره من السلف وكان السلف والائمة
يروونه ولا ينكرونه ويتلقونه بالقبول وقد يقال ان مثل هذا لا يقال الا توقيفا
لكن لا بد من الفرق بين ما ثبت من الفاظ الرسول وما ثبت من كلام غيره سواء كان من المقبول
ام من المردود ولهذا وغيره تكلم رزق الله التميمي وغيره من اصحاب احمد في تصنيف
القاضي ابي يعلى لهذا الكتاب بكلام غليظ وشنع عليه اعداؤه باشياء هو منها
بريء كما ذكر هو ذلك في اخر الكتاب وما نقله عنه ابو بكر بن العربي في العواصم
كذب عليه عن مجهول لم يذكره ابو بكر وهو من الكذب عليه مع ان هؤلاء وان كانوا
نقلوا عنه ما هو كذب عليه ففي كلامه ما هو مردود نقلا وبحثا وفي كلامه من
التناقض من جنس ما يوجد في كلام الاشعري والقاضي ابي بكر الباقلاني وابي المعالي
وامثالهم ممن يوافق النفاة على بعض نفيهم ويشارك اهل الاثبات على وجه يقول الجمهور
انه جمع بين النقيضين ويقال ان ابا جعفر السمناني شيخ ابي الوليد الباجي قاضي
الموصل كان يقول عليه ما لم يقله ويقال عن السمناني انه كان متسمحا في حكمه وقوله
وحديث الحجر الاسود يمين الله في الارض هو معروف من كلام ابن عباس وروي مرفوعا
وفي رفعه نظر

ولفظ الحديث الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه أو قبله فكأنما صافح الله
وقبل يمينه فقد بين لفظ هذا الحديث أنه يمين الله في الأرض وأن المصافح له
كأنما صافح الله وقبل يمينه ومعلوم أن المشبه ليس هو المشبه به فهذا صريح
في أنه ليس هو نفس صفة الله ولا يمكن أحدا أن يأتي بنص صريح صحيح يدل على معنى
فاسد من غير بيان للنص أصلا فالحمد لله الذي سلم كلامه وكلام رسوله من كل نقص
وعيب وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين فسلم ما قالوه من
النقص والعيب والحمد لله رب العالمين وأما الخطأ الثاني فيأتون إلى النصوص الصحيحة
الدالة على معان دلالة بينة فأصرح مخطئه كأحاديث الرؤية ونحوها مما فيه إثبات
الصفات فيقولون هذه تحتاج إلى التأويل كذلك ولا يبينون معنى كل من التفسير
التحريف وأن التفسير الذي به يعرف الصواب وقد ذكر ما يدل عليه من نفس الخطاب إما
متصلا به وإما منفصلا عنه ولهذا السالم يكون لهم فرقان قويم وصراط مستقيم في النصوص
فوجدنا أحدهم يطلق الفرق بين النصوص التي تحتاج إلى تأويل والتي لا تحتاج إليه إلا بما
يرجع إلى نفس المتأول المستمع للخطاب لا بما يرجع إلى نفس المتكلم بالخطاب فيجد من
طائفة له ما يقتضي أنه لأهل الكلام والفلاسفة في جانب وأمثاله ممن يظنون أن
طريقة الصوفية ... يقولون من هذا الباب على ذوقهم وكشفهم فيقولون إن ما
عرفته سبق بصيرتك فقوه وما لم يعرفه فأوله ... في كلام المسلمين ما يهدي إلى الحق
فتؤولها بما تقتضيه دلالة العقل حتى تأوله والأئمة المعتزلة والمتفلسفة الذي يوافقه
يقولون إن العقل يمنع إثبات الصفات وإثبات الرؤية ويقول المتفلسف الدهري إنه
يمنع إثبات معاد الأبدان وإثبات الأكل والشرب في الآخرة فهو لا يمنع ما فهمهم لا يجعلون
الرسول بعينه نصب في خطابه دليلا يعرف به الحق والباطل بل يجعلون الفارق ما
يختلف باختلاف الناس من أذواقهم وعقولهم ومعلوم أن هذا نسبة للرسول إلى
التلبيس

التلبيس بل إلى كتمان الحق بل إلى التكلم بكلام لا يعرف حقيقته من يتكلم ولهذا كان حقيقة
أمرهم الإعراض عن الكتاب والسنة فلا يستفيدون منهما شيئا من معرفة صفات الله تعالى
بل الرسول معزول عندهم عن الإخبار بصفات الله تعالى نفيا وإثباتا وأما الأئمة عندهم
في العمليات أو بعضها مع أنهم يتفقون على أن مقصوده العدل بين الناس وإصلاح
دنياهم ثم إنهم يقولون مع ذلك إنه أخبرهم بكلام عن الله تعالى وعن اليوم الآخر صار ذلك الكلام
سببا للشر بينهم والفتن والعداوة فإنه عندهم من فساد العقل والدين فحصل منهم
أنه أفسد دينهم ودنياهم وهذا إنما يقتضي قولهم إنه أجهل الخلق وأظلمهم أو من أجهلهم وأظلمهم
وأنه قصد العدل فهم مع قولهم المقتضي للكفر يقولون قولا متناقضا يتكلم به أهل حقيقة
قول هؤلاء الذين يجوزون معارضة النصوص بآرائهم أن الاحتجاج بالقرآن والسنة على شيء من المسائل
العلمية بل ولا إثبات الصدق ... الله والرسول فإن الإنسان إذا سمع خطاب الله
ورسوله الخلو ... إما أن يقدر أن له رأيا مخالفا للنص أو ليس له رأي يخالفه فإن كان
عنده ما يسميه معقولا ما يناقض النصوص وكان معقوله هو المقدم فلا يتعقل إلا
خبر الله ورسوله وكان حينئذ كل من اقتضى عقله ما يناقض خبر الله ورسوله قدم عقله
على ذلك ولم يستفد من الله ورسوله ما يدعو علمه بل غايته أن يستفيد اعتبار بالمعاني
... ذلك اللفظ من المعاني التي لا يدل عليها الخطاب الأدلة بعقله ليصرف اللفظ
ومعلوم أن المقصود بالخطاب الإفهام وهذا لم يستفد من الخطاب الإفهام بل استفاد الحق
من عقله لا من الخطاب وذلك المعنى البعيد الذي صرف الخطاب إليه لم يكن عالما بثبوته بدون
الخطاب ولم يدله عليه الخطاب الدلالة المعروفة وإن لم يكن عنده ما يعارض النص
مما يسميه رأيا ومعقولا فإنه لا ينتفع بل إنه ليس في عقول الناس كلهم ما يناقض ذلك
الخبر الذي أخبر الله به ورسوله ومن المعلوم أن الدلالات التي يسمى عقليات ليس لها ضابط
ولا هي منحصرة في نوع معين بل ما من أمة إلا ولهم ما يسمونه معقولات واعتبر ذلك

بأمثاله فإنه ما من ملة إلا وقد ابتدع بعض الناس بدعًا يزعم أنها معقولات
ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيهم من يعارض النصوص بالعقليات
فالخوارج والشيعة حدثوا في أواخر خلافة علي والمرجئة والقدرية حدثوا في أواخر عصر الصحابة
وهؤلاء كانوا ينتحلون النصوص ويستدلون بها على قولهم لا يدعون أنهم عندهم عقليات
تعارض النصوص فلما حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم المعارضين
للنصوص بآرائهم ومع هذا فكانوا قليلين مقموعين وأولهم الجعد بن درهم ضحى به خالد القسري يوم الأضحى
بواسط وأما قالوا لم يكن لهم شوكة من أوائل المائة الثالثة لما قوي بعض الخلفاء ونصر ابن أبي دؤاد
ووقعت المحنة من المعتزلة وغيرهم وذكر ما قضاه الله من الكتب وأكثر المرسلين العلوم ذلك
والأحد طائفتين ينتقلان على طريقة واحدة عليه أئمة المعتزلة وهم الذين في
الصفات أعراض والأعراض لا تقوم إلا بجسم وعندهم أن الجسم كونه لا يخلو من الحوادث
أو لونه مركبًا من الأجزاء المفردة ثم يستدلون بالأكوان الأربعة التي للجسم وهي الاجتماع
والافتراق والحركة والسكون على حدوثه وأما غير ذلك فإنهم يقولون بأن الصفات لا تقوم
إلا بمحدث ويسلمون لهم أن الأفعال ونحوها من الأمور الاختيارية لا تقوم إلا بمحدث
وطوائف من أهل الحديث والفقه من كل طائفة هؤلاء يحتجون من الحجج العقلية
على قول شيوخهم بما لم يجد شيوخهم يقولون به بعضهم وقد يبين لهم من الحجج العقلية الباقية
ما لم يبين لشيوخهم واعتمد كثير منهم على حجة الأجسام النصرية بما لم يسمع الأشعري
وكذلك الخطابي أقر بها ثم تبعه أبو المعالي وغيره ممن ينتسب إلى الأشعري وكذلك البيهقي
الحجج العقليات النافية للصفات الخبرية بما لم يدل لنا عليه الأشعري وأئمة أصحابه
كالقاضي أبي بكر وأمثاله فهؤلاء يعتمدون في إثبات الصفات الخبرية كالوجه واليد والاستواء
وليس للأشعري في ذلك قولان بل لم يتنازع الناقلون لقوله في ذلك عنه ولم ينقل عنه إلا ذلك
ولم ينقل عنه تأويل هذه الصفات بل رد على المعتزلة لما تأولوا الاستواء بالاستيلاء

[illegible]

وأبو المعالي وأتباعه نفوا هذه الصفات موافقة للمعتزلة والجهمية ثم لهم قولان أحدهما
تأويل نصوصها وهو أول قولي أبي المعالي كما ذكره في الإرشاد والثاني تفويض معانيها
إلى الرب تعالى وهو آخر قولي أبي المعالي كما ذكره في الرسالة النظامية وذكر ما يدل على أن
السلف كانوا مجمعين على أن التأويل ليس بسائغ ولا واجب ثم هؤلاء منهم من ينفيها ويقول
إن العقل الصريح نفى هذه الصفات ومنهم من يقف ويقول ليس لنا دليل سمعي
ولا عقلي لا على إثباتها ولا على نفيها وهي طريقة الرازي والآمدي وأبو حامد يثبتها
ينفي الصفات العقلية موافقة للأشعري وأصحابه وتارة ينفيها أو يردها إلى العلم
موافقة للمتفلسفة وتارة يقف وهو آخر أحواله ثم يعتصم بالسنة ويشتغل
بالحديث حتى مات على ذلك وكذلك أبو محمد بن حزم مع معرفته بالحديث وانتصاره لطريقة
داود والظاهرية نفى الصفات وردها إلى العلم مع أنه لا يثبت علمًا هو صفة ويزعم أن أسماء الله
كالعليم والقدير ونحوها لا تدل على العلم والقدرة وينتسب إلى الإمام أحمد وأمثاله
من أئمة السنة ويدعي أنه يقول بقول أهل السنة والحديث ويذم الأشعري وأصحابه ذمًا
عظيمًا ويدعي أنهم خرجوا عن السنة والحديث في الصفات ومن المعلوم أن مذهب الأشعري
وأصحابه أقرب إلى السنة والحديث ... ثم إن الفلاسفة كالفارابي وابن سينا
يرجحون أن العقل دل على المعاد ويخالفون من أنكر المعاد من المعتزلة وموافقيهم في ذلك كما
خالفوا المعتزلة في نفي الصفات ويقولون لهم قولنا في نصوص المعاد كقولكم في نصوص
الصفات وهكذا ما ظهرت القدرية ... ويقال القول في نصوص
المثبتة للقدر وإن الله خالق أفعال العباد كالقول في نصوص الصفات وهذا أجاب من أجاب
من المعتزلة والشيعة لهؤلاء فكان الجواب عما احتج به هؤلاء من الحجج السمعية على أن الله خالق
أفعال العباد من جهة الخلق ومن جهة الفعل إنما هي جهة الخلق

[illegible]

احدها انه اذا ثبت كونه تعالى عادلا لا يفعل قبيحا ولا يخل بواجب وحكيما
وجب ان يكون للآيات التي يتعلقون بها وجوه لا تنافي ما ثبت من الادلة
وان لم نعلم الوجوه على سبيل التفصيل وقالوا هذا كالقول في الآيات
التي يتعلق بها المشبهة في كون الله جسما نحو قوله تعالى بل يداه مبسوطتان
وما يجري مجرى ذلك من الآيات التي يفيد ظاهرها التشبيه من انه اذا ثبت
انه تعالى لا يشبه الاشيا وجب ان يكون لهذه الآيات وجوه مطابقة لدلالة المعقول
وان لم نعلمها على سبيل التفصيل فهذه الطريق التي سلكها اصول القدرية هي
الطريق التي سلكها من وافقهم على نفي الصفات او بعضها من الجهمية والنجارية
وغيرهم فانهم لا يثبتون الصفات ويوافقون المعتزلة على نفي الصفات ومن المعلوم
ان الحجج العقلية التي يحتج بها المعتزلة والشيعة ليس لها ضابط بل ابو الحسين
ابو الحسين البصري سلك خلاف ما سلكه شيوخه وادعى ان العلم باحداثها
ضروري هو واصحابه مع ان انه ليس لما يدعى من العقليات المخالفة
لما نص النصوص ضابط بل لكل من باب الوساوس والخطرات ما احال تجويز ان
يكون المعنى ما اخبر الله ورسوله معقول صريح ما قصد ولم يعلمه لم يأمن ان يكون
كلما سمعه من اخبار الله ورسوله من هذا الباب فما يثبت لرسول الله ...
العقليات ما يناقض ذلك او لم اسمع ولم اجد وجود ذلك وهذا القدر لا يمكن ان يكون
في نفس الامر اذا علم لم يصل اليه بعد واذا كان العقل لا ينفي ما اخبر به
قيل له اتريد بذلك انك لم تعلم معقولا ينافي ذلك او تعلم انه ليس ممكنا ان يكون
في المعقول ما ينافي ذلك فاذا جوزت ان يكون في المعقول ما يناقض اخبار الرسول
فان قلت الاول لم ينفعك ذلك وان قلت الثاني لم يكن هذا ممكنا الا اذا جوزت ان يكون في
المعقول

المعقول ما يناقض اخبار الرسول فمع هذا التجويز كل معقول جوزت ان لا اعلم خلاف
الرسول يجمع ما اخبر الله به الجازم انه ليس في المعقول ما يناقض اخبار الرسول ومع هذا
التجويز لا يمكن ان يكون معقول ... العلم واذا قال الذي يقر ببعض النصوص دون بعض المتفلسفة
والمراد ببعض الجهات دون بعض الذي يثبته بحيلة العقل والذي اقر به لا بحيلة
العقل بل هو ممكن في العقل قيل له اتعني بقولك لا بحيلة العقل وهو ممكن في العقل
الامكان الذهني او الخارجي فان عنيت الامكان الذهني بمعنى انه لم يقم دليل عقلي يحيله
فهذا لا ينفعك اذ يكون في نفس الامر ما يحيله وانت لم تعلمه وان عنيت به الامكان الخارجي وهو
انك علمت بعقلك انه يمكن ذلك في الخارج فهذا لا يتأتى لك في كثير من الاخبار وهؤلاء
الذين يجوزون انهم يعرفون امكان ذلك بالعقل يقول احدهم هذا لو فرضناه لم يلزم منه محال
كما يقول ذلك الآمدي ونحوه اذ يقول هذا الشي لو قدر الاشخاص والامور الكلية والذوات لا
تنحصر ... انواعا محصورة من الممتنعات ومعلوم ان نفي المحالات معدودة لا سبيل الى
كل محال وقول القائل لو فرضناه لم يلزم منه محال ان اراد به لا اعلم انه يلزم منه محال لم ينفعه
وان قال لا اعلم انه لا يلزم منه محال فهو لم يذكر دليلا على هذا العلم فما الدليل على انه علم انه لا
يلزم منه محال يفضي الى ان يجوز في خبر الله ورسوله ان فيه معقول لم يعلمه انه يصدق بمعانيه
ما اخبر الله ورسوله به من الغيب لا سيما والامور الغائبة ليس للمخبرين بها خبرة يعلمون ان
نفيها يقتضي لثبوت ما اخبر به او انما جمع ما يحتمله النفوس من المعارضات بل اذا
كانت الامور المشاهدة بالحس وما يبنى عليها من العلوم العقلية قد يقع فيها
سفسطات لبس يعارض بها علم بالحس ويشتبه هذه السفسطات على كثير من الناس
حلها وبيان فسادها ... بان هذا قدح فيما علم بالحس بل لا يستحق الجواب
مطلق ... الجملة لا التفصيل ... هذه الامور المعلومة لا يثبت الا بالجواب

فما يعارضها من الحجج السوفسطائية لم يثبت لأحد علم بشيء من الأشياء إذ لا نهاية
لما يقوم بنفوس بعض الناس من الحجج السوفسطائية بل يعلم من حيث الجملة
أن ما عارض شيئاً من أخبار الله ورسوله فإنه باطل وإن لم يعلم وجه بطلان تلك
المعارضة سواء سموا المعارض لذلك عقليات أو برهانيات أو وجديات أو ذوقيات
أو مخاطبات أو مكاشفات أو مشاهدات أو نحو ذلك من الأمور التي يسمونها
أو سموا ذلك تحقيقاً أو توحيداً أو عرفاناً أو حكمة حقيقية أو معارف يقينية بحسب ما
أو هدى أو إلهاماً فإنه وإن سمي بتلك الأسماء ليست مطابقة لمسماها بل هي من جنس تسمية الأوثان آلهة
إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان الأمر من جنس من يكون له
علم بحسبه وعقله حجج صحيحة تعارض ذلك لم تبق بين علم ولم يبق له طريق إلا الحد
من بعد ذلك لم يبق له أصول المعارضين يسلكون لما هم من ذلك بحسب من الشك
والحيرة قال الرحمة رحمه الله وهو أن من يريد ويهوى يريد أن يسوق ما أصعد والله ولا رب
الشرع أن من سلك هذه السبل فإنه بعد قيام الحجة عليه كافر بما جاء به الرسول
وإنما كان السلف والأئمة يطلقون في بعض الحجج الفاسدة وإن أشكل أمر ...
المتسمين بالإيمان خبراً ومخبراً به والإيمان للرسول بتصديق خبره والإيمان بالخبر به
الإقرار بذلك والتصديق به ولهذا لا يرى الناس من يجعل القرآن المخبر به مخلوق الخالق
وصفاته ومنهم من يجعله ما أخبر وهو بلا شيء الرسول وكلا الأمرين حق وإنما الإنكار والكفر
يتعلق بهذا وبهذا وكلام الحجة الفاسدة ما فيه خبر الرسول الصادق قال الرحمة
ونحن قد علمنا بالعقل الصريح بيان فساد أعظم ما يعتمد الفلاسفة والجهمية والقدرية ونحوهم عليه
وهذا ولله الحمد مما أمدنا الله به هدى وإنما فكل من نافعة فساد الباطل وأعز
الحق فصح الحق قال عمر رضي الله عنه إنما ينقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا
يعرف الجاهلية وهذا حال أكثر من يتعاطاه

كما أنا لم ... [illegible]
أو ما حكاه أن أحد الأقسام بعلم بعدل والآخر بجهل وظلم ولهذا كان الصنفان اللذان
أحدهما ناجٍ والآخر هالك وأحدهما ذنب حرب ...

ولابن عقيل ... وملوك الكلام الله مرحب ... ورسوله من ... ما ... محقوقه للكفر [illegible]

من الإسلام وما عرف ما يعارضه ليس له فساد فإنه لا يكون في قلبه من يعظم الإسلام
مثلاً وقليل من عرف الضدين ومن الكلام السائر الضد يظهر حسنه الضد وبضدها
تتبين الأشياء والاعتبار والقياس نوعان قياس الطرد وقياس العكس فقياس الطرد
اعتبار الشيء بنظيره حتى يجعل حكمه حكمه وقياس العكس اعتبار الشيء بنقيضه حتى يعلم أن حكمه
نقيض حكمه وقوله تعالى فاعتبروا يا أولي الأبصار يتناول الأمرين فيعتبر بما أنزله بمن
كذب رسله كما فعل بقوم فرعون حتى يرتقب من يتشبه بذلك ويرهب من يكون ذلك فيستعمل
قياس الطرد في الرهبة وقياس العكس في الرغبة ومن أمثلة قياس العكس من يحكي عن كلام
حجة الوتر بأنه يفعل على الراحلة سنة النبي صلى الله عليه وسلم ... والواجبات لا تفعل على الراحلة
والنوافل تفعل على الراحلة فلما فعلوا على الراحلة كان حكمه حكم النوافل فيقول
حكم النوافل فقياسه بالواجبات قياس العكس وبالنوافل قياس الطرد وكذلك إذا قيل
دم السمك طاهر لأنه لو كان نجساً لوجب سفحه بالذكاة لأن الدماء النجسة يجب سفحها بالذكاة
فلما لم يجب سفحه كان حكمه بنقيض حكمها وكان ملحقاً بالرطوبات الطاهرة التي لا تسفح في الحياة
فكل قياس يجمع فيه قياس الطرد والعكس فقياس الطرد هو الجمع والتسوية فيه
بين نظيرين وقياس العكس هو الفرق والمخالفة بين مختلفين فالقياس في الشيء
بما يماثله لا بما يخالفه والمقصود هنا أن فساد هؤلاء المتكلمين على العبارات المشتبهة
ليلبسوا بها على من لم يعرف حقيقة ما في تلك الأقوال كما قال لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا
خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والسماعون المستجيبون لهم ليس
المراد من يعقل الأخبار إليهم فإنه نظنه بعض الناس بل هذا نظير قوله تعالى سماعون للكذب
سماعون لقوم آخرين لم يأتوك أي يسمعون الكذب فيصدقونه ويسمعون لقوم آخرين لم يأتوك
فيستجيبون لهم ومن ظن أن المراد بقوله سماعون لهم أي جواسيس لهم فقد غلط فإن هذا حكم
الجاسوس ... إلا أنه بعد غلط فإن ما كان يظهره النبي صلى الله عليه وسلم من خبر يسمعه

المنافقون واليهود لم يكن مما يأتيه حتى يكون نقله حجة عليه فصل
ذكر الله تعالى في كتابه ملامة أصناف مثل أهل المعارضين المجادلين في كتاب الله
فوصف من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد مكتوب عليه أنه من تولاه
فهذه حال المتبع لمن يضله ووصف من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير
ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله وهذه حال المتبوع المستكبر الصاد عن سبيل الله ثم ذكر
حال من يعبد الله على حرف وهذه حال المتبع لهواه الذي إن حصل له ما يهواه
من الدنيا عبد الله وإن أصابه ما يمتحن به في دنياه ارتد عن دينه وهذه حال من كان
مريضا في إرادته وقصده وهي حال أهل الشهوات والأهواء ولهذا ذكر ذلك في
العبادة التي أصلها القصد والإرادة وأما الأولان فحال الضال والمضل
وذلك مرض في العلم والمعرفة وهي حال أهل الشبهات والنظر الفاسد والله يحب
البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات فمن لم يعرف
الحق فهو ضال ومن عرفه ولم يتبعه فهو مغضوب عليه فأول الشر الضلال ومنتهاه أن يكون مغضوبا
عليه كما أن أول الخير الهدى ومنتهاه الرحمة والرضوان وذكر سبحانه ما يعرض في العلم
الضلال والإضلال وما يعرض في الإرادة من اتباع الهوى كما جمع بينهما في قوله تعالى إن يتبعون
إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقال ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم ومن جادل في الله بغير هدى ولا كتاب منير فقد جادل بغير علم أيضا فإن العلم ليس
من كل ما يكون علما بأي طريق حصل وذلك يقتضي أن يكون مجادلا بهدى أو كتاب منير [illegible] حال
الضال المتبع لمن يضله فلم يحتج إلى تفصيل فبين أنه يجادل بغير علم ويتبع كل شيطان مريد
كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير وهذه حال
مقلدي أئمة الضلال من الكفار والمبتدعة يجادلون بغير علم ويتبعون من يضلهم من الشياطين

ثم ذكر حال المتبوع الذي ثاني عطفه تكبرا كما قال وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن
لم يسمعها وقال فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى وهذا أيضا يجادل
ليضل عن سبيل الله وجداله بغير علم أيضا لكن فصل حاله بأنه لا يجادل بهدى كالإيمان
المرسل ولا بكتاب منير كالجدال بهذا من ليس العلماء ليس معه علم من هذا الطريق ولا من طريق
كما قال تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم قال لم نك من المصلين إلى قوله وكنا نكذب
بيوم الدين وقال إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فقد بين الذي
يلزم يسلكهم في عينه لكنه يذكر تلك اللوازم على سبيل التصريح ليعرف ثبوت لازم الأمر دون ملزوم
المطابقة كما ذكرنا نحو ذلك في قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون لم
إن كان لابس الحق بالباطل فلا بد أن يكتم بعض الحق وبيان هذا الجنس يبين أن النهي عن المجموع المنتظم
نهيا عن كل واحد من أفراده ليس النهي عن فعلين متنافيين حتى لا يعاد وحرف النهي يتضمن
النهي عن الملازمات [illegible] إلا بالفعل وبلوازم الرسول والمجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير
الوجه العشرون أن تقابل العقل ملزوم لعلمنا بالشرع ولازم له ومعلوم
أنه إذا كان اللزوم من أحد الطرفين لزم من وجود الملزوم وجود اللازم ومن نفي اللازم نفي
الملزوم فكيف إذا كان التلازم من الجانبين فإن هذا التلازم يستلزم أربع نتائج
يلزم من ثبوت هذا اللازم ثبوت هذا ومن نفيه نفيه ومن ثبوت الملزوم الآخر ثبوت
ذاك ومن نفيه نفيه وهذا هو الذي يسميه المنطقيون الشرط المتصل ويقولون استثناء
عين المقدم ينتج عين التالي واستثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم فإذا كان التلازم
من الجانبين جاز استثناء عين كل من المتلازمين ينتج عين الآخر واستثناء نقيض كل منهما
ينتج نقيض الآخر وبيان ذلك هاهنا أنه إذا كان العقل هو الأصل الذي به عرف صحة
السمع كما قد ذكروا ثم ذلك ومن المعلوم أنه ليس المراد بكونه أصلا له أنه أصل في

ثبوته بنفسه وصدقه في ذاته بل هو اصل في علمنا به اي دليل لنا على صحته فاذا
كان كذلك فمن المعلوم ان الدليل يجب طرده وهو ملزوم للمدلول عليه فيلزم من ثبوت
الدليل ثبوت المدلول عليه ولا يجب عكسه فلا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول عليه
فالمخلوقات هي ايه يلزم من ثبوتها ثبوت الخالق ولا يلزم من وجود الخالق وجودها وكذلك كثير
من الاخبار والاقيسة اللهم الا ان يكون الدليل لازما للمدلول عليه فيلزم من عدم اللازم
عدم الملزوم واذا كان لازما له امكن ان يكون مدلولا له اذا المتلازمان يمكن ان يستدل
بكل منهما على الاخر مثل الحكم الشرعي الذي لا يثبت الا بدليل شرعي فانه يلزم من عدم
دليله عدمه وكذلك ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله اذا لم ينقل لزم من عدم نقله عدمه
ونقله دليل عليه واذا كان المعقول ما هو دليل على صحة الشرع لزم من ثبوت ذلك
المعقول ثبوت الشرع ولم يلزم من ثبوت الشرع ثبوته في نفس الامر لكن يجوز اذا لم
يكن لنا طريق الى العلم بصحة الشرع الا ذلك العقل لزم من علمنا بالشرع علمنا بدليله العقلي
الدال عليه ولزم من علمنا بذلك الدليل العقلي علمنا به فان العلم بالدليل
يستلزم العلم بالمدلول عليه وهذا هو معنى كون النظر يفيد العلم وهو التلازم
سواء قيل بطريق العادة التي يمكن خرقها او قيل بطريق اللزوم الذاتي الذي لا يمكن
انفصاله فاستلزام العلم المخبر والصحة للموصوف والمقصود انه اذا كان
صحة الشرع لا تعلم الا بدليل عقلي فانه يلزم من صحة الشرع علمنا بالدليل العقلي علمنا بـ
الدال عليه ويلزم من علمنا بذلك الدليل العقلي علمنا بصحة الشرع وهكذا الامر فيما لا
نعلم الا بالدليل ويلزم ايضا من ثبوت ذلك الدليل المعقول في نفس الامر ثبوت
الشرع ولا يلزم من ثبوت الشرع ثبوت ذلك الدليل واذا كان العلم بصحة الشرع
لازما للعلم بالمعقول الدال عليه وملزوما له وكان لازما لثبوت ذلك المعقول
في نفس الامر فمعلوم ان ثبوت ذلك المعقول في نفس الامر مستلزم لثبوت

الشرع في نفس الامر فمن المستحيل تناقض اللازم والملزوم فضلا عن تعارض
اللازمين وان المتعارضين هما المتنافيان اللذان يلزم من ثبوت احدهما
انتفاء الاخر كالصدقين والنقيضين والمتلازمين يلزم من ثبوت كل منهما ثبوت
الاخر ومن انتفائه انتفاؤه فلا يمكن ان يكون المتلازمان متعارضين متنافيين
متناقضين ولفظ التنافي والتضاد والتناقض والتعارض في اصطلاح النظار متقاربة
وان اهل اللغة وارباب الاصطلاحات مختلفة فيها الاصطلاحات فكل متضادين فهما
متناقضان للنقيض اللغوي ولهذا سمى اهل اللغة احد الضدين نقيض الاخر
وكل متعارضين فهو مستلزم للتناقض اللغوي لان احد الضدين نقيض الاخر
اي يلزم من ثبوته عدم الاخر فانه يلزم من ثبوت السواد انتفاء البياض
والنقيضان في اصطلاح جمهور اهل النظر هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان
والضدان لا يجتمعان لكن قد يرتفعان وفي اصطلاح اخرين هم هما المثبت
والاثبات فقط كقولك اما ان يكون واما ان لا يكون ولهذا يقولون النقيض
احدى القضيتين بالسلب والايجاب على وجه يلزم من صدق احداهما كذب
الاخرى فالتناقض في عرفنا لكلام مثل عرف هؤلاء ان لا يجتمعان
ولا يرتفعان فقد يكونان ثبوتيين وقد يكونان عدميين وقد يكونان ثبوتا وانتفاء
ولو كان احدهما وجوديا والاخر عدميا فقد يعبر عنهما بصيغة الاثبات
التي لا يدل بنفسها على التناقض الخاص كما اذا قيل الموجود اما ان يكون واجبا بنفسه
واما ان يكون ممكنا بغيره واما ان يكون واجبا بنفسه واما ان لا يكون ممكنا بنفسه
واما ان يكون قديما واما ان يكون محدثا وجود لكن المعلوم ان تقسيم

الموجود الى قايم بنفسه وغيره وواجب وممكن وقديم ومحدث تقسيم حاصر
كتقسيم المعلوم الى الثابت والمنفي وهذا انقسام لا يجتمعان ولا يرتفعان
كما ان الوجود والعدم لا يجتمعان ولا يرتفعان واما اهل اللغة فالنقيضان
عندهم اعم من هذا كلها فالمتنافيين اللذان احدهما الاخر فقد نقضه
وان لم وانطلم فيسمونه نقيضا للمصطلحهم المتنافيين اصطلاح اخر والمتقابلين
بالسلب والايجاب يسمونه بالعدم والملكة وهو نفي الشي عما من شانه
ان يكون قابلا له كنفي السمع والبصر والكلام عن الحيوان فانه يسمى عدما وصمما
وبكما لان الحيوان يقبل هذا وهذا بخلاف نفي ذلك عن الجمادات فانه لا يسمى عدما وصمما
وبكما لانها لا تقبل ذلك ثم انهم تذرعوا بذلك الى سلب النقيض عن الخالق
وقد بسطنا بسطه فصل من قدم العقل على الشرع لزمه بطلان
العقل والشرع ومن قدم الشرع لم يلزمه بطلان الشرع بل سلم له الشرع وذلك انه
انه صدق بالشرع بل دليل عقلي وهذا ما يشفع به الانسان بخلاف من لم يعقله
لا عقل له لا شرع فانه خسر الدنيا والاخرة فلطف والشرع يسعى ان ما قضى العقل
المسلم لصحته واما ما ناقض مما اخر ليس هو دليلا لصحته بل وان اللذين صحيحا
ليس الامر وايضا فلو قدر انه ما فضح لما احاط عقلنا بذلك صحته فالادلة
العقلية الدالة على صحة الشرع متنوعة فلا يلزم من بطلانه واحد بطلان غيره
بخلاف الشرع المدلول عليه فانه اذا قدر بطلانه لزم بطلان جميع ما دل عليه
من المعقولات وايضا فان هولاء المعارض للشرع بالعقل بدعون من معقولات
معينة انهم عرفوا بها السمع لدعوى الحكمة والمعرفة وحوهم ان الشرع انما علم صحته
بالدليل الدال على حدوث الاجسام المبني على ان الاجسام مستلزمة للاعراض الحادثة لا تسلم
حوادث لا اول لها ونحو ذلك يعلم ان صدق الرسول ليس موقوفا عليه لان السلف سندوا

به

به فلو قدر ان هذا الدليل صحيح لم يلزم من عدم الاستدلال به بطلان الايمان
بالرسول بل يمكن الاستدلال على صدق الرسول بادلة اخرى استدل بها السلف فاذا
قدر ان هذا المعقول المعين مما يضر خبر الرسول لم يلزم من عدمه خبر الرسول
عليه القدح في اصل السمع الذي لا يعلم الا به فكيف اذا كان هذا الدليل
باطلا فانه لا يجوز ان يعتمد عليه فلا يحتج بعد على الشرع فتحصل يعرف معنى
كون العقل اصلا للشرع ان المراد به انه دليل على صحته فما عارض
الشرع من العقليات فليس هو دليلا صحيحا فضلا عن ان يكون هو الدليل على
صحة الشرع فان قيل هب انا اذا قدمنا العقل لم نبطل الشرع بل نفوضه
او نتاوله مثل ان لم يكن السمع دالا على معنى ما سمعي عقليا فليس هو
محل النزاع وان كان السمع دالا معو بحثه معطل لدلالة السمع وذلك ابطال
له واذا دل الشرع على شي فالاعراض عنه كالتقديم الاعراض عن دلالة العقل
فلو قال القائل انا قد علمت مراد الشارع واما المعقول فافوضه لاني لا افهم صحته
ولا بطلانه كما انا جازم بما اخالفنا دل عليه الشرع وقد اشتبهت علي المعقولات
تختلفين فيها انا وانت فهذا المعقول المناقض للسمع كان هذا اقرب واذا قال
لا بل يحتمل انا قد قدحنا في القدر الذي خالف العقل من السمع لم يستحق كل الشرع
قيل ومن قدم السمع انما قدح في ذلك القدر لا في كل عقل وكان العقل الذي هو
دل على صحة الشرع وانما قلنا ما قلنا لانه يعقل انه ليس بمعقول صحيح وقد ذم
الذين اختلفوا في الكتاب وانهم لفي شقاق بعيد وذم الاختلاف في قوله تعالى ولو
شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم
من امن ومنهم من كفر الامر هذا الاختلاف يحدث المومنون والله من الكافرون

وأما الاختلاف في الكتاب الذي يذم فيه المختلفون فهو مثل
أن يؤمن هؤلاء ببعض دون بعض وهؤلاء ببعض دون بعض كاختلاف
اليهود والنصارى وكاختلاف [illegible] فرقه وهذا هو
الاختلاف المذكور في قوله تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ومن العجائب
مثل الرافضة أنك تجد أكثر الغلاة في عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم والجهمية ونحوهم من يغلون في عصمة
من سوى ذلك كبعض الطوائف في شيوخهم وطاعتهم [illegible] من أمر الرسول
على أنه معصوم فيما يبلغه عن الله تعالى ولا يستقر فيه خطأ الا [illegible]
نفوسهم ثم وجود هذا من يناقض أصل الرسالة ويناقض الدليل الدال عليها فيصل
الجهمية والقدرية ونحوهم يقولون أن صدق الرسول موقوف على قيام المعجز
الدال على صدقه وقيام المعجز موقوف على أن الله لا يؤيد الكذاب بالمعجز
وذلك موقوف على أن فعل ذلك قبيح والله لا يفعل القبيح وتنزيهه عن فعل
القبيح موقوف على أنه غني عنه عالم بقبحه والغني عن القبيح العالم بقبحه لا يفعله
وغناه عنه موقوف على أنه ليس بجسم وكونه ليس بجسم موقوف على نفي صفاته
وأفعاله ونفي ذلك موقوف على ما دل على حدوث الجسم فلو بطل الدال على حدوث
الجسم بطل ما دل على صدق الرسول [illegible] وأيضا فإن الدليل على حدوث الجسم هو
الدال على حدوث العالم وإثبات الصانع فصار العلم بإثبات الصانع
وتصديق الرسول موقوفا على نفي الصفات والأفعال فإذا جاء الشرع بما يدل على إثبات
الصفات والأفعال لم يمكن القول بموجبه لأن ذلك يعارض [illegible] فلا بد
حينئذ أن الرسول لم يرد به إثبات الصفات والأفعال [illegible] احتمالات
يحمل اللفظ عليها وإن لم يعين المراد أو يفوض معناه ويقال لا يعلم المراد بها
[illegible] ومعانيهم [illegible] بعض الصفات أو الأفعال [illegible] يبطله

من هذا الكلام نصه [illegible] ذكر الرازي في النهاية وغيرها [illegible] الرازي المطالب
على ثلاثة أقسام منها ما يستحيل العلم بها بواسطة السمع ومنها ما يستحيل العلم بها
إلا من السمع ومنها ما يصح حصول العلم بها من السمع تارة ومن العقل أخرى
القسم الأول كل ما يتوقف العلم بصحة السمع على العلم بصحته استحال
تصحيحه بالسمع مثل العلم بوجود الصانع وكونه مختارا عالما بكل المعلومات
وصدق الرسول [illegible] أما العلم بحدوث العالم فلذلك [illegible] يتوقف العلم بصحة السمع على
العلم بصحته لأنه يمكننا أن نثبت الصانع المختار بواسطة حدوث الأعراض
أو بواسطة إمكان الأعراض على ما سيأتي ثم نثبت كونه عالما بكل المعلومات
ويرسل الرسل ثم نثبت بإخبار الرسول حدوث العالم قال وبهذا تبين خطأ من
زعم أن أول الواجبات القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالم
قال ابن تيمية قلت هذا القول الذي خطأه الرازي هو الذي ذكره
أبو المعالي في الإرشاد وغيره من الأشعرية والمعتزلة وقالوا العلم بحدوث العالم
لا يمكن إلا بالعلم بحدوث الأجسام ولا يمكن ذلك إلا بحدوث الأعراض
والأشعري لم يسلك هذه الطريقة [illegible] في رسالته إلى الثغر [illegible] ولم يبطلها
أيضا وسلك هو طريقة [illegible] وهو إثبات حدوث الإنسان بأنه [illegible]
للحوادث و[illegible] الأحوال من الحوادث فهو حادث [illegible] على أن المعلوم حدوثه
هو الأعراض كالاجتماع والافتراق وأما الحيوان والنبات [illegible] أما الحادث
أعراضه [illegible] ولذلك الخطابي [illegible] هذه الطريقة الكلامية
التي سلكها الأشعري يوافقون [illegible] وأما جمهور الأئمة والعقلاء
[illegible] هو سلوك النظر
[illegible] بأن أول الواجبات هو [illegible] من الجهمية والمعتزلة [illegible] طائفة

هذه الطريقة طريقة ابي علي وابي هاشم وابي الحسين من المعتزلة وهم يقولون ان
اول الواجبات النظر المفضي الى العلم بحدوث العالم او القصد الى النظر
او الشك السابق على القصد الى النظر او المعرفة اقوال لهم ثم قال
ابن تيمية بعد ان ذكر هذه الطريقة والطريقة الخامسة التي ذكرها الرازي
وهي الاستدلال بما في العالم من الاحكام والاتقان على علم الفاعل قال ابن تيمية
واذا تبين ذلك فيقول القائل اذا علمت اثبات الصانع بهذه الطريق التي
اعرفتم بانه يمكن العلم باثبات الصانع وصدق رسله بها وليس فيها ما يقتضي
ان الفاعل ليس بجسم لم يكن في الادلة الشرعية المثبتة لصفات الله وافعاله ما ينفوا
النفاة من اثبات الافعال والصفات او بعض ذلك يستلزم كون الموصوف
الفاعل جسما واثبات الصانع مبني على الدليل النافي لكونه جسما فلو قلنا بموجب
النصوص بعدما ابطلنا الدليل العقلي النافي لكونه جسما لكنا قد قدمنا الشرع على
اصله العقلي فعلم بالضرورة ان الشرع المثبت للصفات والافعال لا ينافي الدليل
العقلي الذي عرف به اثبات ذلك فان قيل فاذا ابطلنا هذا الدليل العقلي الذي
نعرف به صحة السمع لا يعارضه الدليل الشرعي المثبت للصفات والافعال الا غيره
من الادلة العقلية فاذا ذكرتم ان الجواب عنه من وجوه احدها ان
المقصود بيان ان الشرع يمكن معرفة صدقه بدليل عقلي لا يعارض موجب الشرع
واما ما سوى ذلك من الادلة فليس على الرجل ان يستدل بها والشيء اذا علمت صحته
بدليل عقلي لم يجب ان يعلم صحته بكل دليل فقد تبين انه يمكن الرجل ان يصدق
بما اخبر به الشارع من اسماء الله وصفاته من غير ان يعارض ذلك ما يكون اصلا للعلم بصحة
السمع من الادلة العقلية فتكون المعارضة بتلك الطرق التي قيل انها عقلية معارضة
بطرق ليس يتوقف العلم بصحة السمع عليها فلا يلزم من تقديم الشرع عليها القدح في
الاصل

الاصل الذي به عرفت صحة السمع وهذا هو المطلوب الوجه الثاني ان
ببطلان تلك الطرق لم تدل على صحة الشرع مطلقا وانما دلت على صدق الشارع فيما اخبر
عنه من غير الصفات والافعال التي نفتها تلك الطرق وحينئذ فلا تكون دالة
على صدق الرسول مطلقا ومعلوم ان دليل الايمان لا بد ان يدل على ان الرسول
صادق في كل ما اخبر به مطلقا من غير تقييد فمتى كان الدليل انما دل على
صدقه بشرط ان لا يعارضه موجب ذلك الدليل صار مضمونه ان الرسول
مصدق فيما لا يخالف فيه وليس مصدقا فيما يخالف فيه ومعلوم ان هذا ليس
اقرارا بصحة الرسالة فان الرسول لا يجوز عليه ان يخالف شيئا من الحق ولهذا قال
الامام احمد في رسالته في السنة التي رواها عبدوس بن مالك العطار ليس في السنة
قياس ولا يضرب لها الامثال ولا تدرك بالعقول الوجه الثالث
ان تلك الطرق اذا امكن العلم بصدق الرسول بدونها لم يكن العلم بالشرع
محتاجا اليها حينئذ فاذا عارضت السمع كان المعارض له دليلا اجنبيا
لا يعارضه مثله واصح على امر [illegible] وان سلمنا صحة معارضته للرسول الوجه
الرابع ان السلم محتاج الى تلك الطرق حتى يكون دليلا يصلح ان يعارض به ثم ذكر ابن تيمية
[illegible] فصلا كبيرا من كلام السلف على الجهمية النفاة
ذا اعتقدهم من الملاحدة الزنادقة ولهذا صنف الامام احمد ما سماه الرد
على الزنادقة والجهمية وكذلك البخاري ترجم في اخر صحيحه كتاب التوحيد والرد
على الزنادقة والجهمية ونقل كلام ابن المبارك وابن يوسف في اسقاط اصول
البدع اربعة الشيعة والخوارج والمرجئة والقدرية قيل والجهمية قال ليست
الجهمية من امة محمد صلى الله عليه وسلم ونقل مثل ذلك عن الزهري [illegible]
امة محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] عثمان بن سعيد الدارمي وما قاله في الرد على الجهمية
الزنادقة والجهمية [illegible]

قال ولو ظهروا في زمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان سبيلهم عند القوم
إلا القتل كما قتل أهل الردة وكما قتل علي رضي الله عنه من ظفر به منهم في عصره وأحرقه وظهر
بعضهم بالمدينة في عهد سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فأشار على أهل المدينة
بقتله ثم قال ثنا محمد بن المعتمر السجستاني وكان من أهل سجستان عن ابن زهير
بن نعيم البابي أنه سمع سلام بن أبي مطيع يقول الجهمية كفار قال وسمعت محمد بن
سمعت وهب بن جرير يقول سمعت حماد بن زيد وإنما معنى يقولون ليس في السماء شيء عن بشر المريسي
فقال ذاك كافر قال ثنا ابن أبي سعيد يعني عن يزيد بن هارون أنه قال الجهمية كفار حرضت
أهل بغداد على قتل المريسي ثنا يحيى الحماني ثنا الحسن بن الربيع سمعت ابن المبارك
يقول من زعم أن قوله إنني أنا الله لا إله إلا أنا مخلوق فهو كافر سمعت محبوب
بن موسى الأنطاكي مذ كان سمع وكيعا يكفر الجهمية قال وحدث عن سفيان
الثوري عن حماد بن أبي سليمان أنه كفر من زعم أن القرآن مخلوق قال ابن
قال عبد الرحمن بن مهدي هما صنفان فاحذروهما الجهمية والرافضة
قال أبو سعيد عثمان بن سعيد ثنا الحسن بن الصباح البغدادي عن خلف بن شقيق عن ابن المبارك
قال إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية قال أبو سعيد
وذهب من أحكي له يحكي كلام الجهمية لا يستخرج منه نقضا عليهم وعن
الحسن بن عيسى السطاحي وأحمد بن بشر القاضي وهو من أصحاب أبي بكر المروزي
فما أحسب ومنهم من المشايخ من يرى نقضه وما أسكت وأكثر المشايخ الذين
مجلسه استعظاما أن أحكي كلام الجهمية مع أن يحكي القرآن كلام الله بزعم أنه مخلوق
فهو كفر

فصل

ثم يتحرر المعقولات ومن ... الصفات والنبوات
فيقال إن العقل الصريح أعظم الأشياء موافقة لما جاءت به الرسل وكلما عظمت معرفة
الرجل بذلك عظمت موافقته للرسول ولكن حصلت الشبهة في ذلك لأن كثيرا
من أهلهم ذكاء يعرفون بأنواع من العلوم إما طبيعية كالطب والطبيعيات وإما شرعية
كالفقه مثلا وأما الأمور الإلهية فلم يكن لهم بها خبرة فخبرهم بذلك من أعظم المطالب
والمقاصد

والمقاصد فخاضوا فيها بحسب أحوالهم وقالوا فيها مقالات بعبارات طويلة مشتبهة
لعل كثيرا من أئمة المتكلمين بها لا يحصلون حقائق تلك الكلمات ولو طالبتهم بتحقيقها لم يكن
عندهم إلا الرجوع إلى تقليد أسلافهم فيها وهذا موجود في منطق اليونان وإلهياتهم
وكلام المتكلمين تسلم من أساطينهم كأرسطو وأمثاله وأبي الهذيل العلاف والنظام وأمثالهم
بكلام ويثنى وكان الكلام دائرا في الأتباع يدرسونه كما يدرس المؤمنون كلام الله والكفر سلكوه
والقصص وإن كانت العبارة أبعد عن الفهم كانوا لها أشد تعظيما ومن أحوال الأمم
السالفة كانت التي يجهلونها كانوا أشد لها تعظيما كالرافضة في المنتظر وكتعظيم جهال
الصوفية وجهوهم للغوث وخاتم الأولياء ونحو ذلك مما لا يعرفون له حقيقة ولذلك النصارى يعظمون
ما هو من هذا الباب وهكذا الفلاسفة تجد أحدهم إذا سمع أئمته يقولون الصفات
الذاتية والعرضية والمقوم والمقسم والمادة والهيولى والمركب من الكم والكيف
ونحو ذلك عظمها قبل أن يتصور معانيها ثم إذا طلب معرفتها لم يكن عنده من يعلمه إلا
التقليد لهم ولهذا يشيرون إلى الكلام الباطل المغرور كلوحا من الله ويسمونها عقليات
وإنما هي عندهم تقليديات قلدوا فيها ناسا يعلمون أنهم ليسوا معصومين وإذا بين لأحدهم
فسادها لم يكن عنده ما يدفع ذلك بل ينفي تعظيم المطلق لرؤوس تلك المقالات بعارضها
فيقول كيف يظن بأرسطو وابن سينا وأبي الهذيل وأبي علي الجبائي ونحو هؤلاء
أنه خفي عليهم مثل هذا وأن هذا وصل إلى هذا الموضع هذا ونحو ذلك كالذين يقلدون المعصوم الذي لا يخطئ
عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ويخشون النسبة إلى خطئهم من العقل والمعرفة والتمييز ويصفوا
نفوسهم بأنهم لا يعلمون حقيقته قال ابن تيمية وهذا القدر قد تبينته من الطوائف
المخالفين للكتاب والسنة من رؤسائهم وجاهلهم ويلقى عنهم إذا امتحن
أحدهم الحجج العقلية التي يحتج بها طريقته سفسطها ولم يجد له ما يرفعها بقي في
التقليد وهكذا أحوال شيوخه وندمان من أول الأمر يدعو إلى النظر والمناظرة
ويعتصم بالعقليات فهم كما قال الله تعالى ويوم تقلب وجوههم في النار